

تصدير

حديث اليمن

منذ أربع سنوات خلت تولى نادى القصة مسؤولية نشر مجلته « قصص » بعد أن تعثر صدورها لدى ناشرها الاول . وقد أعلن النادى - فى حينه - أنه اضطر الى ذلك رغم صعوبة النشر وتكاليفه ومشاكله. وقد ذكرنا - اذ ذاك - أن السعر الذى حددناه لبيع المجلة هو أشبه بسعر المجلات المدعومة اذ لا تخضع تسعيرتها للمقياس التجارى بقدر ما تخضع للايمان برسالة تستدعى التضحية والنضال .

ورغم ما طرأ من ارتفاع فى سعر الورق ومواد الطباعة - عدة مرات - فاجب ارتفاع اسعار الصحف والمجلات والنشورات ، فقد ظلت مجلة « قصص » على موقفها الاول الى أن جاء ما جعلنا مصداق المثل العربى القديم القائل : « وقف حمار الشيخ بالعقبة » ذلك أن الزيادة الاخيرة البالغة حد الخمسين فى المائة بالنسبة للورق جعلتنا تلك الزيادة بين موقفين : إما أن تواصل المجلة صدورها بسعرها الاول [350 مليم] وذلك ينتهى بها حتما الى الافلاس والاختناق ومن ثمة الى التوقف الكامل عن الصدور . وإما أن نحاول رفع الثمن - نسبيا - اعتمادا على تفهم القراء والأنصار الذين نشعر بالتزام التواصل معهم ، والسير بمجاتهم « قصص » . وذلك ما استقر عليه رأى خطوة جديدة على درب النضال فى سبيل الوفاء بذلك الالتزام .

وقلنا : رفعنا الثمن - نسبيا - لأننا لم نقف من ذلك الترفيع مجرد موقف جبر الضرر - كما يقولون - بل بذلنا جهدا جديدا فزدنا نصف ملزمة من صفحات المجلة عسى أن نبقي وحدنا نشعر بثقل العبء وضائلة التعويض بينما

نوفر لقرائنا شيئاً ما نعتبره مقابلاً لزيادة طلبناها وكنا مضطرين إليها. وذلك أقل ما يضمن شيئاً من رضى الضمير وشرف المسؤولية .

وعسى ان يتفهم قراؤنا وانصارنا هذا القول اولاً. وأملنا ان يواصلوا معنا المسيرة ثانياً . ولنا عودة لشرح حجم المسؤولية وتوزيعها فى مناسبة أخرى .

« قصص »



يونس يدخل جوف الحوت

يتحدث يونس عن الحوت الذى يأوى الى جوفه يقول : « كان يحدث كل يوم وأكون أدرك أن الغد لن يكون أفضل لأن الاسعار ترتفع أكثر وأعصابى تتوتر وأكون أدرك أن الغد لن يكون أفضل لأن الاسعار ترتفع أكثر وأعصابى تتوتر أكثر وجسدى يزداد شيخوخة ... وكما يحدث كل يوم أدخل جوف الحوت ويكون ذلك يعنى بالنسبة لى أن يوما آخر قد انتهى ... » .

يكون يونس يحمل نظارتين كبيرتين على أنفه ، ومحفظة مثقلة بالكراسات فى يده ، وصورة صغيرة لحطيته فى حافظة أوراقه ، وبقية حلم يبهت فى افكاره ويتصور أن الحياة لا يمكن أن تأتى بأى جديد بالنسبة اليه . وعندما يسأل يونس عن حياته يتنهد وبتسهم ويتحدث عن الطقس والوحل فى المدينة ، وعن أشياء أخرى قد لا ينصت لها الآخرون .

يكون يونس يقف كل صباح عند محطة الحافلة التى تنطلق من المدينة الى المدرسة التى يعمل بها .. يدب يونس فى اتجاه المدرسة ويكون يحاول أن ينظم أنفاسه فى صدره ، ويزيل التكميشات التى خلفتها عملية العصر على سترته . تكون ستره يونس قد بدأ يركبها اللمعان عند رقبته وركبتها .. ومن وراء نظارتيه الكبيرتين يرسم يونس على ملامحه تكشيرة يكون يريد بها ابتسامة .. يلقي يونس تحية الصباح على زملائه ثم يغيب وراء نظارتيه ... ولم يكن يونس قد أحس فى يوم ما بالحاجة الى أن يحدث أحدهم عن عملية العصر التى يتعرض لها كل صباح فى جوف الحافلة .. ويكون يونس يفكر أن جوف الحوت الذى ابتلع يونس يعمل بنفس الشكل ، بنفس شاهية التقبل وشاهية القذف ، بكل

تلك الروائح التي تميز الحافلة ، وبكل تلك الملوحة التي تبقى ملتصقة بأصابع الإنسان وبأنفاسه وبأفكاره حتى بعد أن يغادر جوف الحافلة .. يكون يونس في حاجة الى أن يتلخص من الدوار الذي تتركه في رأسه حركة الحافلة لذلك يجلس في القسم يلتقط أنفاسه بين كل تلك الصور الزاهية التي تزين الجدران . ويكون يونس يدرك أنه يجب أن يكتب الدرس على السبورة قبل أن يبق الجرس لذلك يتنهد ويحرك الطلاسة طويلا ويملا رثتيه بغبار الطباشير لكن صفحة لسانه تبقى طوال اليوم طرية لزجة قارصة لمجرد أن يونس لا يستطيع أن ينسى أن نهاية اليوم تنتظره بموعد آخر مع جوف الحوت ...

عندما تالظ الحافلة يونس مساء يكون جسده عرقا مبتلا لاهتا يحمل رائحة جوف الحوت ... يسمح يونس البخار الذي تجمع امام نظارتيه ويطوح بالمحفظة الثقيلة في يده ثم يفتح ساقبه على اتساع خطواته لكي يتحرك بهما في فضاء المدينة .. يكون يونس يفكر أن ما هو أكثر طحنا للإنسان ليس بقاؤه طويلا في جوف الحوت بل عدد المرات التي يدخل ويخرج فيها من تلك المزللة .. ويكون يونس أن هذه المرة لن تكون الأخيرة لذلك كان يونس يتنهد من حين لآخر ...

عندما تكون قادرا على فتح ساقبك بنفس الاتساع الذي يفتح به يونس ساقبه وقادرا على الهرولة الى جانبه كما يفعل هو ذلك وعلى التحدث اليه رغم ضجيج السيارات والمارة الذين قد يفصلونك عنه فأنت تنتهي الى دكان بائع اللبالبى حيث ينتهي يونس .. وقد لا تكون في يدك محفظة تطوح بها كما يفعل هو . تكون محفظة يونس ثقيلة وجلدية قد فقدت لونها ولم تعد صفاتها لذلك هو يزدريها ويقول عنها انها تضخم شعوره بمرارة الاشياء في وضعه .. ثم يشرع يونس في تفتيت الحبز في الصحيفة ، وقد يكون بمزاج رائق لكي يقول عن الاخبار التي تحملها أجهزة وكالات الانباء انها مثل اللبالبى تتشبع بالاكاذيب لذلك هي تنتفخ كثيرا لكي تحجب الحقيقة وعندما يجترها الانسان يكتشف انها قارصة منذ البداية ...

عندما تكون مواطنا صالحا تخشى الله والمجتمع والبوليس السرى فقد تكرر يونس وتقول له : « لا ترفع صوتك كثيرا ! » . ولكن يونس يقهقه من أعماق أعماقه ويقول بنفس الصوت الذي يتحدث به : « كما ترى ؟ فانا لست

أكثر من انسان يقتات بالليلابي واقتضى امسياتى أخربش كرايس الصغار وكل هذا اتفه من أن يصنع منى جبهة للرفض ...! ثم يتحدث يونس عن كل الاشياء التى يمكن أن تدفعه الى الاحساس بالرضى عن نفسه ويكون يكرر دائما أن الحديث والضحك يساعدان الانسان على التخلص من ثقل الليلابي . وقد تتعجب من شاعية يونس الذى يأتى على الصفحة الكبيرة فيقول يونس : ان اللذة الوحيدة التى تبقى لامثاله هي ان يملأ أحدهم بطنه بشكل من الاشكال .. ويكون ذلك هو أهم شىء فى حياة يونس .. ثم يمسح يونس شفتيه بقفا يده ، ثم يقرب فمه من الحنفية لكي يكرع منها ، ثم يقول بعد ذلك : إن الحبز لم ينتفخ كما يجب لان المرق لم يكن كافيا . ويضيف يونس ان الجوع هو الذى يصنع حركة الشعوب من خلال حركة تاريخها ...

عندما تكون على درجة ما من اللباقة فقد تفكر أن تعرض على يونس شرب كأس شاي فى مقهى ما لكن يونس يسرع باعلامك أنك لست فى حاجة الى مثل هذا العرض لانه اعتاد دائما أن يتناول كأس شاي فى المقهى تزينه السفن الشراعية والحياتان الكبيرة ووجه صاحبه بشاربيه العريضين وصوته الأجش.. وعندما تصعد قدماك الدرجات المؤدية الى بهو ذلك المقهى تكون يد يونس تهز يد صاحب المقهى بكثير من المראה فى حركتها تلك ، ويكون وجه صاحب المقهى يزرع ابتسامة عريضة تفتح حلقات فى حديث يونس .. ثم يوزع صاحب المقهى نظراته بين حيتانه التى على الجدران وبين زبائنه .. ثم يتحدث يونس عن نفسه فيقول : « هنا فتحت عيني على البحر . وهنا ادركت معنى الموت . وهنا عرفت أن اسمى يمكن أن يعنى شيئا ما بالنسبة للآخرين ... كان ذلك عندما سمعت المذياع الحشبي الضخم يرتل الآيات بحشرجته القديمة ... » .

عندما يترشف يونس كأسه ويمتد الحديث على شفتيه ، فقد يصادف أن يتحدث يونس عن خطيبته تلك السمكة « البورى » ويقول عنها بعد أن يزفر من اعماقه : « هذه هي السنة الثالثة التى نؤجل فيها زواجنا لاننا لم نتمكن من العثور على محل للابجار يناسب وضعنا .. لذلك يسعى كل منا الى ركنه فى المدينة فى انتظار أن نجد المسكن ... » . ثم يضيف يونس : « ان الزوجة الطيبة هي تلك التى تتفهم ظروف زوجها ... » .

عندما يترشف يونس الكاس للمرة الثانية فقد يصادف أن يتحدث عن المكان الذى يابى اليه فيقول عنه : « هو حوت بجوف كبير وبطوابق متعددة

وبتجويقات متعددة فى كل طابق .. وفى تجويف ما من تلك التجويقات نكون اربعة تختلط رائحة عرقنا برائحة أحذيتنا برائحة التبغ الذى يخلفه الليل بيننا ، ويكون كل منا يحلم بسمكته على طريقته الخاصة ... » .

عندما يكون يونس فى حاجة للنظر الى البحر من خلال جوف الحوت الذى يتصوره يقول لك : إن أباه كان فى يوم ما يرسم الكثير من الصور على الورق القضى ، ثم يضعها تحت الزجاج الماون ، ثم يبيع ذلك للآخرين لكى تزين رسومه الجدران ، ثم يضيف يونس : أنه لاجل ذلك كان يحمل هذا الاسم الذى فكر فيه والده لما تأكد من بقاء يونس فى جوف أمه عشرة أشهر . وعندما يكون يونس قد أحس بالاهتمام الذى تبديه يضيف : أن أمه لم تكن فى يوم ما قادرة على العد الى أكثر من عشرة . ولكن من يستطيع أن يؤكد أنه لم يبق فى جوفها أكثر من عشرة أشهر ؟ ... يقول يونس : إن والده كان يرسم الحمسة والحوت عشرات المرات فى اليوم ، وكان يهوى الحديث عن ذلك الحوت الذى يحمل الثور الذى يحمل القلب الذى يتحرك لكى تبحث الشمس عن طريقها الى المكان الذى انطلقت منه ... وعندما يحلو ليونس أن يعلق على والده وعلى الرسوم التى تخرج من تحت أصابعه يقول : إنها مثل السمك الذى يلقي بيضه فى البحر ... هكذا كان والده . وكان يفعل كل ذلك من أجل أن يأكل يونس وأمّه كسرة الخبز .. وذات يوم اجتمع الكاف والنون وكان ذلك كفن والده الذى وضع فى صندوق خشبى سار وراءه يونس مع الآخرين وردد مثلهم : « رحمان يا رحمان هذا عبدك ... » . ويضيف يونس : أنه لم يبك فى ذلك اليوم لأنه كان يفكر فى ذلك الحوت الذى كان يرسمه والده فى كل تلك الرسوم التى كان يبيعها . ويقول يونس : إنه فى ذلك اليوم كان يتصور أن كل التشويبهات التى دخلت على ذنب الحوت بعد كل المرات التى رسمها بها والده هى التى دفعت الحوت الى أن يلتقم والده . وكان الامر مجرد تصفية حساب قديم ...

يتحدث يونس عن صاحب المقهى الذى يكون يوزع نظراته بين رسوم الجدران وبين زبائنه فيقول عنه : إنه قد اشترى كل الرسوم التى تركها والده . ولأجل تلك الرسوم بقى يونس مشدودا الى ذلك المقهى . ثم يختم يونس حديثه عن الاشياء القديمة قائلا : « عندما ينبش الانسان ماضيه فهو يحرك مزبلة كبيرة فى سوق السمك ... » ثم يهز يونس رأسه ويقول : إنه

عندما كان يساعد والده فى تلوين الحوت الذى يرسمه تحت الزجاج الملون كانت رائحة سوق السمك تصاحب أنفاسه لمجرد أن الألوان التى كان والده يخلطها كانت من البيض الفاسد ومن مساحيق أخرى ...

عندما تتصاعد رائحة اللبلايى من أمعاء يونس ويتجشأ بصوت مسموع ويكون قد ضاق بوجوده ولهائه وعرقه واستحالة العثور على مسكن للايجار فهو يسب الآخرين ، ويسب وضعه ، ويسب الجلالة ، ويقول : « أن تكون شجاعا ليس أن تدخل جوف الحوت ولكن أن تبحث عن طريق للخروج منه ... » . ويؤكد يونس بعد ذلك أن كل هذه السنوات التى فصلت انفتاح فيه للمرة الاولى عن لحظته هذه قد عاشها بشعور من يكون فى جوف حوت لذلك لا بد أن يحدث فى يوم ما زوبعة فى حياته تمكنه من التخلص من كل تلك الوضعية ...

عندما يختفى يونس ذات يوم لا يحدث أن يتساءل عنه كثيرون .. كل ما يحدث هو أن خطيبته قد اضافت صورة أخرى الى المجموعة التى تخفيها بين أوراقها . وقد يكون هناك من مبالغى عن تلك الصورة فقالت عنها : إنها مماثلة لتلك التى ألصقت الى جواز السفر الذى تحصل عليه يونس قبل أن يقول لها : « هذه المرة سأثقف بنفسى فى جوف حوت آخر لكى أتمكن من التخلص من جلدى ومن نظاراتى ومن صحيفة اللبلايى ... » . ويغيب يونس فى جوف الحوت يحمل جواز سفر ما ، ويلقى برسائله فى البحر ، ويحلم بيوم يلتقى فيه الحوت بالتور الذى يحمل الفلك لكى تاوى سمكة « بورى » ما الى احضانه ويتغير منطق الاشياء فى حياته ...

عندما يكون يونس فى حاجة الى أن يعلق على أحداث واقعه فهو يتكلم عن النقد الذاتى ، وعن تلك الفترة من حياته التى كان يملا فيها رثيه من غبار الطباشير . ثم يضيف : أن تلك المرحلة قد علمته أن الانسان لا يزدري واقعه إلا بعد أن ينفصل عنه . لذلك كان يونس فى حاجة الى التخلص من مزبلة واقعه . ولكن كل ما توصل الى تحقيقه هو أنه تخلص من جوف حوت لكى يدخل جوف حوت آخر أضخم من الاول ، وأكثر لزوجة ، وأكثر شامية للتقبل وللغذف ، وفى النهاية يصبح الانسان فى أفكار يونس مجرد مضغة تتحلل تحت تأثير الافرازات المختلفة لكى تنتهى الى الدوبان تماما .

عندما يدرك يونس أن الشخص الذي ينصت اليه لا يبدي رغبة فى معارضة كلامه يضيف : أن ما يبدو مدهشا فى حياة الانسان ليس مجرد كون الحيتان فيها تلتهم بعضها بعضا لكى تتصل أجوافها فى النهاية ولكن أن يكتشف الانسان فى داخله متاهات تنفتح بنفس الشكل الذى يمكن أن يفتح به جوف الحوت . لذلك يحدث أن يكتشف الانسان أيضا بعض العفونة التى تترسب فى جانب ما من حياته .

عندما يتحدث يونس عن المتاهات التى تنفتح داخل الانسان يكون يريد أن يؤكد أن المتاهة الكبرى هى تلك التى يعمقها الجوع فى أعماق الانسان ... ويتحدث يونس عن الجوع الذى يدفع الحوت الى أن يفتح فمه لكى يبتلع كل ما يمكن أن يسعه جوفه . ويقول يونس : ان قيمة الحوت تقدر بتسرع الاشياء التى يبتلعها . لذلك كان يونس عندما يفكر فى مدينة كبيرة مثل هذه تنفتح لكى تبتلع كل حركات تشنّج وأشخاصها وتشنّج وسائل الاعلام ثم تقذف بعد ذلك غازات الاحتراق ومياه المجارى التحتية يجدها مدينة على درجة كبيرة من انفتاح الشاهية ، شاهية التقبل والقذف ..

وفى النهاية يسمح يونس تلك الافكار من كلماته بحديثه عن خطيئته تلك السمكة « البورى » التى تتحدث لصديقاتها لكى تقول : إن يونس يكتب لها الرسائل الطويلة ، ويتحدث فى رسائله عن سفينة الصيد التى سيمشترىها ، ويتحدث أيضا عن كل اجهزة التبريد التى سيجهز بها تلك السفينة لكى ينتهى فى حديثه الى كل تلك الأسماك التى ستملا شبابه لكى تقتل المتخمين يحدث هو أن خطيئته قد اضافت صورة أخرى الى المجموعة التى تخفيها بين فى مصنع ما من هذه المدينة الكبيرة يساهم فى وضع اجهزة التبريد تلك فى عليها الكوطونية لكى تكتب عليها بعد ذلك « قابل للكسر » .

عندما يتحدث يونس عن كل تلك البكرات والأسلاك الحديدية التى يدس فيها أنفه طوال الوقت الذى يهرب فيه من الآخرين يحلو له الحديث عن اجهزة التبريد تلك التى يمكن أن تنتقل فى يوم ما فوق شاحنة كبيرة كتب على جوانبها اسمه بالاحرف الغليظة .. ثم يختم يونس حديثه بأن يهز رأسه ويقول : « ما يحتاج اليه الانسان فى بعض مراحل حياته هو أن يجد جهاز التبريد المناسب الذى يجمد أفكاره ومشاعره لمدة ما ينسلخ فيها عن متاعبه

لكي يستقبل الحياة بعد ذلك بإقبال متجدد . ويكون يونس يدرك أنه عندما يتحدث بهذا الشكل فهو يسعى الى أن ينسلخ عن متاعبه لكي يفتح طريقه الى سمكة كبيرة كانت فى يوم ما قد نظرت اليه من خلال عين الشمس عند البوغاز وقالت له : « كن حوتا لكي لا تبتلعك الاسماك الاخرى ... » ومنذ ذلك الحين الذى سبج فيه يونس لكي يبتعد عن البوغاز ملتحقا بالسمكة الكبيرة التى يريد أن يستفسرها كيف يمكن للانسان أن يصبح حوتا شعر بجفاف فى حلقه كان يزداد حدة مع الزمن ومع غبار الطباشير ودخان السفاير الذى يتسرب الى صدره ... بعد أن التقى يونس بخطيبته أصبح يتحدث عن تلك السمكة الكبيرة ويتصورها دائما فى صورة سمكة « البورى » التى كانت تعمر أحلامه.

عندما يكون يونس راضيا عن وضعه وينتهى به الحديث بشكل ما الى تذكر طفولته فهو يتذكر فى البداية تلك السمكة التى بقيت تنظر اليه من خلال كل الرسوم التى كانت تخرج من تحت أصابع والده لكي تؤكد له أنه يكبر مع الزمن ، وانها لا تستطيع أن تنظر اليه الا من خلال الورق لان الورق لم يكن يكبر تحت أصابع والده ما دامت مقاييس البلور والاطار الحشبي تخضع لارتفاع الاسعار ... ويقول يونس عن كل تلك الاشياء : انها كانت تدفعه لكي يصبح حوتا لكي لا تلتهمه الاسماك الاخرى .. ويؤكد يونس أن السمكة بقيت تنظر اليه من وراء أصابع والده الى أن جاء اليوم الذى عثر فيه على وجهها وأسمها وكانت سمكة « بوري » .. وعندها أدرك يونس أنه قد ابتلع كفايته من غبار الطباشير ، وأنه فى حاجة الى أن يتجنب البوغاز والاسماك الاخرى ولأجل ذلك قذف بنفسه فى مياه أعمق لانه أدرك ان الفرق وضعية يتوصها من يعتقد ان جوفه اصغر من ان يحوى مياه البحر .

عندما يتذكر يونس والده يتذكر كيف كان يرسم ذيل الحوت ويحدثه عن ذلك الحوت الذى يمكن أن يضع كل الدنيا فى جوفه . ثم كيف يمكنه بعد ذلك أن يحرك ذنبه لكي يؤكد أن ذلك لا يعوقه عن الحركة . ويقول يونس : إنه عندما كان يسأل والده عن المكان الذى يوجد فيه هذا الحوت كان يقول له بعد ان ينظر اليه طويلا : « هو هنا فى أعماق كل منا ، فى هذه النفس الحائرة ... هو الجوع ! .. » . ويؤكد يونس أن والده قد سماه بذلك الاسم لانه كان يعتقد أن المرة الوحيدة التى تخلص فيها ذلك الحوت الكبير من جوعه كانت عندما قذف يونس الآخر من جوفه ويؤكد يونس ان والده كان يضيف : « من يدري

لعل الحوت كان سيملتهم الدنيا كل الدنيا لو لم يدخل يونس جوفه لكى يضع
حدا لجوعه ؟ .. » .

يتحدث يونس عن الحوت الذى يأوى الى جوفه ، يقول : « كما يحدث كل
يوم أكون أدرك أن متاعب الانسان تتكاثر كالصغار فى بلاد الجوع ، وأدرك أن
الغد لن يكون أفضل مهما حاول الانسان أن يقنع نفسه بعكس ذلك ؛ لأن شعر
الانسان فى جوف هذه المدينة الحوت ينتهى الى التساقط وعيناه تدمعان أكثر
ومفاصله يعمرها البرد ... كما يحدث كل يوم أدخل جوف الحوت ، وأكون
أحس أنى سيارة قديمة قابلة للعجن من جديد ... » .

يكون يونس يحمل نظارتيه ومحفظة جلدية كبيرة مثل الاخرى فيها فطور
يومه ويحمل أيضا بقية حاتم يبهت فى أفكاره .. وعندما يسأل يونس عن
أحواله يتجاهل ذلك السؤال ويتحدث عن البرد وعن دفء الميترو وعن أشياء
أخرى قد لا ينصت لها الآخرون . وعندما يكون يونس هناك فى فراشه الذى
بعلو فراشا آخر يتنفس كما يتنفس التسعة الآخرون فى تجويف ما من عمارة
ما قريبا جدا من الثلج الذى يترسب فوق السطوح .. يكون يونس يحمل
محفظته تلك كل صباح ، ويدخل طرف بطاقته فى فم تلك الآلة التى تنفتح
له لكى يجد طريقه الى إحدى العربات التى يدخلها بعد أن ينظم أنفاسه فى
صدره ثم ينظر الى قدميه أو الى الفراغ كما يفعل الآخرون ثم يشرع فى عد
المحطات .. وقد يكون يونس يفعل ذلك للمرة الالف ويكون يفعل ذلك بنفس
التقبل .

عندما يلفظ جوف العربة يونس يكون فى حاجة الى التخلص من ذلك الدوار
الذى تتركه فى رأسه رائحة الأنفاس المتراكمة فى النفق .. ويلهث يونس
أكثر عندما يرمى بنفسه فى برد الشتاء بعد أن يصعد الدرجات التى لا
تنتهى .. ويكون يونس يفكر أن خروج يونس الآخر من جوف الحوت قد يكون
لم يتطلب مثل هذه المشقة .. ولكن لكل حوته . وفى النهاية لا بد أن يكون ما
هو أكثر طحنا للانسان ليس بقاؤه طويلا فى جوف الحوت بل عدد المرات التى
يدخل ويخرج فيها لكى يدرك فى كل مرة أنها لن تكون الاخيرة .. هكذا يكون
واقع الانسان حادا يصغعه كما يفعل ذلك البرد .

عندما يتمدد يونس على فراشه في المساء ويكون الآخرون يستمعون الى اذاعة ما وراء البحر ويلقون بأوراق اللعب في حماس على المنضدة التي يتحلقون حولها يكون يونس يرشح أصوات الآلات التي ترسبت في أذنه طوال اليوم ويمتد ذلك طويلا الى ان ينزرع البحر في فراشه وتتحرك موجة فاترة دافئة وتلوح وراءها سمكة ما تسبح في تكاسل ويكون يونس وراءها وعندما تنتهي به الى البوغاز يكتشف انها سمكة « بوري » يعرفها جيدا لانها كانت دائما في ركن ما من أفكاره .. عندها يكون يونس في حاجة الى أن يحدثها عن ذلك الحوت الذي يكون في جوف حوت أكبر منه في جوف حوت آخر أكبر .. في جوف آخر ... وتتعدد الحيتان في أفكار يونس وتكون كلها بمنافذ تصل جوف كل منها بجوف الآخر وفي جوف كل منها تزداد شاهية التقبل والقذف ، وتزداد الزوجة واللهات ورائحة مزيلة سوق السمك .. ويبقى فم يونس مفتوحا لكي يشخر كما يفعل ذلك الآخرون .. ويكون يونس يريد أن يقول لسمكته « البوري » أن كل تلك الحيتان التي تفتتح على بعضها تصب في أفكاره ولكن فمه يبقى مفتوحا لانه يجب أن يرجع البداية في كل مرة ما دام قد أضاع حساب المحطات ، وما دامت كل محطة تصب في الاخرى ، وما دامت هذه ليست المرة الاخيرة التي يمكن أن يضيع فيها الحساب ..

عندما ينطلق عواء صفارة المعمل صباحا وتتقدم الأجساد وتحرك بعضها وتخلط رائحة العرق برائحة التبغ والبيرة يقول يونس لنفسه : « هكذا يفتح الحوت جوفه ... » . وعندما ينطلق عواء صفارة المعمل مساء وتتدافع الأجساد وتحرك بعضها وتخلط رائحة العرق برائحة التبغ والزيت والصدأ يقول يونس لنفسه : « هكذا يفرغ الحوت جوفه !.. » ويقول ذلك لنفسه عندما تتلقفه فتحة الميتر ، وعندما تقذفه من جوفها وعندما تتمطط الدرجات تحت قدميه وعندما يجدها غازات خائفة وسيارات متلاحقة ويكون صعبا أن يواصل حسابها .. ويكون صعبا أن يتذكر عدد المحطات التي أضاعها في حياته لذلك يدفن يونس أنفه في الجريدة التي التقطها من سلة المهملات لكي يتابع تطور جبهات الحرب على الورق وإعلانات معجون الاسنان وتقويم الاعضاء .. ثم ينتهد لكي يشرع بعد ذلك في قص حروف الجريدة ثم يلصقها بعد ذلك كلمات يقول بها لحظيته : إن الانسان قد يدخل جوف الحوت ألف مرة وقد يخرج منه ألف مرة وقد يتخلص من جلده ومن أشياء أخرى في واقعه وفي ذاكرته ولكنه يكتشف بعد كل ذلك أنه قد أضاع الكثير من المحطات في حياته ، وأنها مثل

هذه الحروف كل منها يصب في الآخر ، وأن رائحة جوف الحوت تنبع من أفكار
الانسان لذلك هو لا يتوصل الى غسلها من واقعه ...

عندما يكون البرد اقل حدة وتكون الشمس أكثر إشراقا ففي مزاج يونس
مما هي عليه في فضاء هذه المدينة وتكون نهاية عطلة الاسبوع قد امتدت أكثر
مما يتطلبه نشر الثياب وحلق اللحية والاستماع الى تحركات الكرة على لسان
المدبغ ، عندها يضع يونس معطفه وقفازيه ويغيب في طرقات المدينة لكي ينبع
في سوق الأشياء القديمة ... وعندما يسأله الآخرون عن كل تلك البكرات
الحديدية والاسلاك المختلفة التي ينشرها فوق فراشه لكي يختفي وراءها من
ملاحقة كلمات الآخرين له يقول عنها يونس : إنها بقايا من فضلات جوف الحوت
ويضحك الآخرون ويضحك يونس معهم ثم يدس أنفه وأصابعه في بكراته الى
أن يعلن أحدهم أن نهاية العالم قد حلت ، وأن التيار الكهربائي سينقطع .
وقبل أن يتمكن يونس من قذف أشياءه تلك في صندوق ثيابه ، وقبل أن
يتمكن الآخرون من الدخول الى فراشهم يكون النور قد انطفأ .. ويشتم يونس
ويسب الجلالة وينتهي الى أن يضحك كما يفعل الآخرون ذلك على حسابه ..
ووسط قهقهة الآخرين وصوت المدبغ الذي يأتي من وراء البحر يشرع يونس
في عد المحطات التي تفصله عن تلك السمكة « الجوري » التي تبدو من بعيد
وراء الموجة التي بدأت تغمر فراشه في فتور ثم يكتشف يونس أنه في حاجة
الى إعادة العد من جديد ، ثم يبقى فم يونس مفتوحا لأن الحوت يدركه قبل
نهاية العالم ، ثم يكتشف يونس أنه في جوف حوت يسلمه الى آخر الى آخر ...
الى نهاية العالم ...

كان يمكن أن يبقى يونس ذلك المعلم الذي يملا رثتيه من غبار الطباشير ،
ويملا معدته من اللبلاي ويقهقه في مقهى الحيتان المصلوبة على الجدران ، ثم
يتنمذ في يوم ما على لوحة يحملها الآخرون لكي يردد بعضهم وراءها :
« رحمان يا رحمان هذا عبدك ... » ثم ينسى الآخرون وجود يونس .

كان يمكن أن يبقى يونس يخضع لقانون صفارة العمل ودهاليز الميتررو ،
وينتظر اليوم الذي تنطلق فيه سفنه تحمل الاسماك الى كل مطاعم العالم لكي

نصنع التخمّة في حياة الآخرين . وبذلك الشكل كان يمكن أن ينتهي يونس في يوم ما كما تنتهي كل الآلات التي تشغل الى أن تصاب بالعطب وبذلك الشكل كان يمكن أن يفقد يونس ذراعه أو ساقه أو أسنانه وبشكل من الاشكال كان يمكن أن يحضن يونس أحلامه القديمة ، ويلم واقعه على تلك السمكة التي كانت تسيل الكلمات في أفكاره لكي يحولها الى أمل ثم يكتشف أن الحوت الذي طالما تحدث عنه ليس أكثر من هذا الواقع الذي يلجم الانسان لكي يتصور أن كل ما لا في وضعه هو على قياس آماله ..

كان يمكن أن يصبح يونس شيئا آخر لو لم يكن يحمل هذا الاسم ، ويعيش هذه الأفكار ، ويتصور أن العالم قابل للخلق من جديد في أي لحظة وكل ما يتطلبه ذلك هو أشخاص يدخون جوف الحوت لكي يولدوا من جديد لكي يتصوروا أن دخول جوف الحوت ليس أكثر من منطق يكيف حياة الاشخاص...

لأجل كل ذلك وجد يونس نفسه في يوم ما من الأيام ينظر الى الآخرين من وراء زجاج نظارتيه من وراء قضبان ما ، وكانت تلك الصبية التي طالما ملأت باسمها صفحات رسائله قد تعلمت أن تحمل قفّة صغيرة وتقف من الجانب الآخر من القضبان تستمع اليه تتحدث عن كل الاشكال التي يمكن أن يدخل بها الانسان جوف الحوت وعن كل الاشكال التي يمكن أن يخرج بها الانسان من جوف الحوت .. ويكون يونس قد تعلم أن يضيف عندما يحدثها عن ذلك كيف أن الانسان في حاجة الى أن يفجر جوف الحوت من الداخل لكي يتخلص من هذا الكابوس الذي يسمى الحوت ...

عندما تسأل خطيبة يونس عن يونس تحاول أن تتحاشى الحديث عنه لأنها تمسك دمة ما في حنجرتها لو أطلقتها لفاضت بحرا .

عندما يحدث الآخرون عن دخول يونس الى جوف الحوت يكونون يتهامسون . وقد يقول أحدهم : إن يونس اجتاز الحدود بدون جواز .. وقد ينفي أحدهم ذلك ويقول : إن يونس كان يوزع المنشairs السرية ويتحدث عن تفجير الحوت من الداخل وقد يأتي آخر لكي يقول : إن الزمن في حاجة الى يونس من حين لآخر ؛ لأن الحوت في حاجة الى يونس ما لكي يدخل جوفه لأجل ذلك انتهى يونس الى جوف الحوت .

عندما تأتي تلك الصبية بالقفة الصغيرة في يدها وتكون تختفي ملامحها وراء سحابة ما من الحزن والحجل لأن الآخرين يهيمسون باسم يونس وراء خطواتها تقف على الجانب الآخر من القضبان لكي تحدث يونس عن كل ما يفسر به الآخرون كيفية دخوله الى جوف الحوت .. عندها يهز يونس رأسه ويقول : لكل حوت ما يتبعه في واقعه أو في أحلامه !.. أن تكون شجاعا ليس أن تدخل جوف حوت ما ولكن أن تخرج منه . وأن تكون أكثر شجاعة هو أن تفجره من الداخل لكي تخرج منه .. وأن تكون أكثر شجاعة من ذلك هو أن تقوم بتلك العملية طوال حياتك كلما تطلب وضعك ذلك منك !.. » .

قابس في 5 سبتمبر 1979

أحمد ممو



ARCHIVE

<http://Archivabeta.Sakhrit.com>

« الجسد والعصا »

تأليف : محمد الهادي بن صالح

نشر : شركة صفاء للنشر والتوزيع والصحافة

تباع في كل المكتبات

163 صفحة - 1300 مليم تونس

يوم السبت فى المدينة

عندما يطلع علينا يوم السبت فى المدينة تكون البنوك قد أغلقت أبوابها الزجاجية بينما تفتح المغازات أبوابها الزجاجية . وينطلق ذلك الجمال الى السوق المركزية يبحث عن قفة مملوءة أشياء يصعب وصفها ، ترتاح الى يديه فتضنيهما ويتقوس ظهره من فرط الجهد . تراه كل يوم سبت يتبع صاحبة العطر ، فيتوقف اذا توقفت ويتسسم والجليل بين يديه السمرالوين يترتب حملا ثقيلًا . ويخطو الى الامام إن خطت ، وهو فى إثرها والابتسام لا تفارق شفثيه.

عندما يطلع علينا يوم السبت فى المدينة تفيض المقاهى بالزائرين فيض الكؤوس ، وتكثر مطالبهم « ترشيق » الكارطة ، فى تضارب ورق ، وتطاحن مآرب .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عندما يطلع علينا يوم السبت فى المدينة ، تزاحم السيارات المارة ، سيارات لماعة براقة ، متعددة الالوان ، شديدة السرعة ، عظيمة عظم الآلة ، منزلقة إنزلاق الزئبق .

عندما يصل البيت الانيق ذا سجاج الحديد المزخرف ، وقد انقشعت فوقه ازهار دائمة النضارة ، يتوقف يسترجع أنفاسه وقد امتلات عطرا ، فينزلق المفتاح فى القفل وتحرك اليد النحيلة والحواتم لا تضنيهما بل تلمع زاهية ، وعيناه الحمراءوان تتوثبان فى محجريهما ينظر الى حذاء من جلد الجدى رقيق ، يبرق ، ثم الى اصابع تشكو كثيرا من الغبار قد اطلت من حذاء لا يذكر من أين تحصل عليه . وينتبه الى صوتها يدعوه الى الدخول ويتبعها والقفة ترتاح الى يديه فتضنيهما ، ورائحة الحضر والفواكه تصرعه ورائحة السمك اللذيذ جد صعبة عليه ، وتفوق كل العطور . وفى المطبخ يضع القفة والرائحة لا تزال عالقة بأنفه ويمد يديه فى صمت والابتسامة تكبر على شفثيه فيحس بالورقة

النقدية خفيفة جدا بين أصابعه التي تحررت ، ويضع الحبل على كتفيه ويمضي ينظر الى البستان المزهر والربيع لم يحل بعد ، فيخال فصل الشتاء قد ولى .

عندما يطلع علينا يوم السبت فى المدينة تفتح قاعات السينما أبوابها الصامتة ، فيدخلها جمهور غفير معززا صفوفه بقرطيس « الفلبيات » فتكثر الضوضاء والقهقهات وتخال الشريط قد ابتدأ خارج القاعة الصامتة .

عندما يطلع علينا يوم السبت فى المدينة يكون حملنا قد عاد أدراجه والحبل يتأرجح على كتفه والورقة النقدية قد انضمت الى بعض النقود النحاسية التي تسكن جيبه ، فيمر بالمغازات التي لا يستترها سوى زجاج شفاف ، ينظر اليها نظرة غريب ويمكث الوقت الطويل ينظر الى الأحذية اللماعة ، وهى ترتاح على الحرير الأحمر فى لامبالاة وتقايله صورة رجل قد تقدمت به السنون ، مقبر الشعر ، طويل الذقن ، وصور كثيرة لا تفارق عينيه . بينما تتجول أصابعه فى الجيب وتعد وتتوقف . ثم تعود الى العد من جديد . ثم تتسكع الجيب فى حركة يائسة . ويتذكر يوم كان يدوس الأرض برجليه دون حذاء فيضحك من نفسه لهذه الرغبة التي تنتابه الآن هذه الرغبة فى شراء حذاء يلمع على فراش من حرير .

ويكون يوم السبت فى المدينة قد قارب أن يغيب فيذهب حملنا الى مقهى ضيق ، ضيق النفس ، ويطلب شيئا يشربه ، بينما تقذف قاعات السينما بجماعيرها الى الخارج ، فتزداد المقاهى اكتظاظا وتمتلئ الشوارع أنوارا ، أنوار الفوانيس وأنوار السيارات المسرعة ، وأنوار المقاهى والمغازات المصطفة على نواصى الشوارع .

وعندما يتقدم يوم السبت فى المدينة فيختلط بليلة الأحد ، تفتح علب الليل أبوابها الموسيقية وتنطفئ الأنوار شيئا فشيئا فينتطلق حملنا وقد اختلطت عليه الايام فيعود الى فراشه ليستريح .

عندما يوشك يوم السبت على النهاية تكون الامنية قد تركزت فى نفسه ، فيكرر يوم السبت ، فيجد من يحمل له القفة صباح يوم السبت ، وتكون له امرأة ذات خواتم عديدة لماعة تطهى له الطعام الذى كان فى القفة ويكون يذهب للسينما إن أراد ذلك أو الى منتزه بعيد عن المدينة ، ثم يفكر كيف يقضى ليلة الأحد ...

نافلة ذهب

واحة بلا ظل

صدرت رواية عمر بن سالم « واحة بلا ظل » عن دار صفاء للنشر والتوزيع والصحافة . وقد أكد المؤلف بأن القراءة في هذه الأيام صعبة ... ذلك أن الناقد ملزم بكتابات متنوعة .. فهو يلجأ الى الكتاب اذا كان يود دراسته من ناحية معينة .. وان كنت اوافق فيما ذهب اليه ، فاني اؤكد ايضا انه كثيرا ما يتناول الناقد الاثر لقراءته لكنه ينصرف عنه الى حين ، اذا وجد في الكتاب ضربا من الميوعة الفنية

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وقد دفعني اهتمامي بموضوع : فلسطين في الادب الروائي العربي المعاصر الى الكتابة عن « واحة بلا ظل » . فكيف كانت الرواية ؟ وما هي رؤيتها الخاصة بهذه القضية ؟

وقبل ذلك سنحاول ان نتتبع النسق الروائي لاستخراج ملامح المجتمع وتحديد وجهاته ورؤاه ثم نتعمق في دراسة القضية – الام وفي الحُتام نقارن بين نظرة غادة السمان في « بيروت 75 » ورواية عمر بن سالم ...

ما كادت سيارة الأجرة التي امتطأها صالح تخرج من العاصمة وتتجه به وبين معه نحو الجنوب حتى أيقن بأن هذه العودة الى مسقط رأسه لا تشبه سابقتها . هكذا يعود صالح الى مسقط الرأس حيث الواحات . وقد عاد محملا بشهادة تثبت انهاءه للدروس في اختصاصه الفلاحي .

ويستعرض المؤلف إبان تقديمه الى حيثيات ستكون في الحقيقة العمود الفقري للرواية ، فصالح بن الحاج محمد امام القرية ، قد أحب جميلة بنت الربيعي . وستتولد عند حلول صالح بعض المشاكل الناجمة عن التعاضد وسيكون لصالح دور في بعث التعاضد . ومن ثم تتولد توترات هي نتيجة تهرب البعض من العمل على انجاح هذا المسلك الانبائي ونخص بالذكر رئيس البلدية والشعبة والربيعي .. فيعملون في الحفاء . وتكون اعانة الربيعي الفلاح الكبير واضحة غير انه يتحول .. فالربيعي أبو جميلة في تغيره هذا اعطى مددا خاصا لمسار الرواية . ونحن نود ان نقف هنا لنبرز مدى تعاطف الكاتب مع هذه التطورات . فصالح الطالب الذي انهي دراسته عاد الى بلده ، ومع عودته حل عهد التعاضد فكانما فصل القدر تفصيلا ليوأكب صالح التعاضد منذ البدء ... الى نهايته . لقد خلق المؤلف ضربا من السردية المملة للاحداث فتعاقبت بوتيرة واحدة ولولا بعض المواقف التي تتنازم فيها العواطف بين جميلة المغلوبة على أمرها ، وصالح المستكين لاضحلت كل « أدبية » ممكنة للنص ، اننا لسنا ضد التيار الواقعي في الكتابة لكننا ندعو الى كتابة فنية تستقرى الواقع وتتوص فيه مع محاولة فرض عبارة محملة بطاقة ايحائية هي عنوان « الادبية » .

ان مشكل التعاضد والاشتراكية في العالم العربي خاصة والعالم الثالث عموما يجب أن ينبع من الذات لا أن يفرض من الخارج ، وقد أكد المفكر الفرنسي « روجي غارودي » في محاضرة القاها بالمركز الثقافي بالحمامات عنوانها « بين النمو والثقافة » أن العالم الاسلامي بإمكانه خلق اشتراكية خاصة به نابعة من تاريخه الحق ، ولعل ذلك أمل الانسانية في الخروج من العهد النووي الغائل للانسان والانسانية وصالح الشاب الذي تفاعل مع التعاضد يمثل ثورية الشباب في عتفوانها ، في حين ان معاكسة البعض تصور الدساتير التي تحاك في الحفاء .

لقد بلغ الصراع أشده عندما تحول الربيعي من مناهض للتعاضد ومناوئ له ، الى داع له ومؤمن به . تحول الربيعي فكان نقيا في ميله ، صادقا مع نفسه عاملا باخلاص وجد . ولعل ذلك يعتبر الحل الممكن لمسار الرواية ، لكننا نتساءل لماذا أوجد المؤلف هذا الحل المبسط للاشياء ؟ وأين القضية الأم التي عنها نبحت ؟

إن المتصفح للرواية يلاحظ أنها عبارة عن عودة فخروج ، انفتاح فانغلاق . فالرواية مسار في اتجاه معين يقع التكوّن عنه بعد ذلك حتى أن صالح الذي عاد على متن سيارة الى بلدته يركب - ربما نفس السيارة - لكي يتوجه الى « غار الدماء » - أعمية المكان - حيث عين للعمل هناك .

« انطلقت السيارة رخاء الى حين ثم تمكنت من الطريق فأخذت تنهبها نهبا وغابت ابنية القرية ... ولما لاح له البراح زفر زفرة كادت تكشف عن غمه المكبوت الى الراكب الاسمر الذي كان بجانبه وعندما تنحج ثم ابتلع مع الريق الصباح المرير .. » ان هذا الخروج هو انغلاق على مستوى التعامل مع القرية - المسقط - لقد ترك الامل والاصحاب والاحباب واتجه الى أرض أخرى ومدينة أخرى واوجه أخرى ، ومن ثم كان الانغلاق على الذات . على أنه اذا كان في هذا الموقف صامتا فانه عند العودة الى القرية كان على غير هذه الصفة وقد ابتدأ حوار الاول وعو عائد الى القرية مع نفسه ثم مع الآخرين حول القضية الام قضية فلسطين .

« لم تزد الصحيفة الا توترا بسبب الاخبار التي طالعته بها عن تعنت اسرائيل وجبروتها » الاحساس الفطري بنطاق من هذا المكن . التوتر الدائم المتأني من حساسية مفرطة بالقلق والانخيار . المجتمع الذي يحمل في طياته كل عنف الانكسار . التوتر يقابله التعنت . تعنت العدو الرابض على الحدود .. ولعله فينا ولا نحس به وكذا يكون المنطلق : « نفضن جبينة حنقا وثورة عما يعانيه العرب في الارض المحتلة من ظام وقهر ... » الاحساس بالقضية في القلب . والوجوم الآسر جائم ولا قوة ... شعور بالفراغ وقلة ما في اليد كان العربي مكبل بالآلاف القيود ويأتي التهرب :

« أدار الصفحة عساه يجد فيها ما ينسيه هذه المأساة .. لكنه لم يفلح ؟ » فلسطين في القلب تطالعنا يوميا تبيح لنا نفسها عارية . وهكذا هي المأساة في القلب . وصالح الشاب الحائق الصامت يقتل آلاف المرات وهو يتحسس الجرح ويعايش الحبة في زمن الاجهاض ... ويبدأ الحوار جواره الذي يعبر عن استنكاره للأعمال الاجرامية المتوحشة التي تقوم بها إسرائيل . وسيكون هذا الاستنكار منطلقا لتحديد وجهات النظر المختلفة للمشاكل الكبير لم تبلغ حد التنافر لكنها تعبر عن شعور قومي عند العربي المعاصر في تونس وخارجها شعور انتمائي عميق التجذر . يعبر الجار عن الموضوع عموما فيبرز الجرائم المستمرة التي يقرها الصهاينة ضد العرب.

ويوضح صالح إعانة الدول الكبرى للعدو المتأتية من مخلفات الحرب العالمية ويؤكد أن المعركة الحقيقية يخوضها الفلسطينيون كما يلاحظ أن طرفنا الراهن متغير عن عهود الحيانات . وفي هذا الوقت بعض التفاؤل والايان بالمستقبل لعلها رؤية الشاب المثقف عموما .

وإن أكد صالح عن هذا الموقف المستقبلي ، فإن الراكب الامامي يبرز أن الحرب الحقيقية لم تقع بعد بل لم تبدأ ... أما الراكب الخلفي فقد وضع أن الانشقاق هو السبب الذي كسر العرب وأطاح بقوتهم ...

إن اختلاف هذه الرؤى الثلاث المعبرة عن أناس ذوي هوايا غير واضحة - عدا صالح - تعبر عن أفكار تخامر أغلب فئات المجتمع التونسي ... غير أن رواية السائق الذي يتخذ شكل القدر يعبر عن « قضاء مخيف هو الوجهة القائمة والغريب انها الرؤية المتأتية عن تجربة مريرة ؛ فقد تطوع هذا السائق ابان حرب 1948 ورأى النكوص على الاعقاب والهروب المتواصل للجيشوش العربية .. ومع ذلك صارع الموت وحيدا وسط صحراء قاحلة وآمن - عندئذ - بأن العرب « لا يعتصمون بحبل الله » في المستقبل وإن اتفقوا فعلى اللا اتفاق فقط .. ومن ثم انعدم الايمان بالشعوب فضلا بالحكومات وأكد ذلك بالوضع الحالي القائم . ان رؤية السائق للقضية الأم تعد استنفارا خاصا للقضية وضربا من الوعي الحاد الذي يتصل حد الانهيار الذاتي .. هو الفجيرة المولدة . هو الفهم الجلي .. لكن آتساءل لماذا غاب الجار الذي أثار الموضوع وأخرجه من الصمت الى الوجود ؟ أين الجار الذي أثار القضية . فهل هو غياب أم اندهاش كامل أمام عالم غير محدد المعالم ، حيث يكثر الحديث ... ويغيب الأمل ... ؟

ولكن كيف كانت رؤية المؤلف اذا قارناها برؤية غادة السمان في روايتها « بيروت 1975 » على موقفها عرضيا ذلك أن مسار الرواية يتبع مسار حياة أشخاص متنوعة المطاع والملاح ، أما عمر بن سالم فانه قد تعرض للقضية عرضيا لكنه مع ذلك حاول أن يمسك بآراء الجميع عبر خيط رابط ... وعلى كل فان « واحة بلا ظل » هي الحديث عن مسار خاص لحياة طالب أنهى الدراسة ودخل المجتمع ... وبالتالي فهي رواية التحام الفرد بالمجموعة ... وقد عبر عمر بن سالم عن القضية الأم بطرافة اذ حوصل الآراء وشرحها من أوجه مختلفة .. وهي قضية ما تزال تحير العربي ... لكن هل ستكون رؤية حسن نصر في « دهاليز الليل » بنفس الوتيرة ؟

مصطفى مدائني

المتاعب قد تأتي من المريح

الى قرية صغيرة تقع على تخوم بلد كبير ، ذهبت قرب غابة مكتظة
بالاشجار المثمرة ،، بنيت بيتي .. وتحت سماء صافية لا تعكر صفوها الغيوم
عشت حياتي .

لم اكن انزعاليا هكذا ، لكن كثرة المشاحنات والخلافات اقلقتني وطمست
مبادئني .

ARCHIVE

كنت مستلقيا ، ونظراتي تبحث عن نهاية غير موجودة لسماء لا غيوم فيها
ولا نجوم .. نظراتي التقت بشئ يتحرك في السماء يبرزه لونه الناري ،
ويسير حسب مسار منتظم .. استقرات معلوماتي القليلة عن الفلك فقلت لا
شك انه كوكب صناعي يسير من كوكب الى كوكب .. فكرت في هذه العقول
التي تركن خلف دهشتي وتثيرها دائما ، تلك العقول التي حققت الصعود
الى القمر ، والسفر الى المريخ والزهرة ، وصورت لنا رائد الفضاء الامريكي
وهو يعانق رائد الفضاء الروسي ويعود كل منهما الى مركبته .. أشياء يشتمها
العلم ، ولا يرفضها العقل ، لكنه يبقى مندهشا امامها ولا يملك الا ان يندهش.

الشيء الناري الذي ظننته قمرا صناعيا ابتدا - مع مرور الزمن - يكبر
حجما ، ويزداد بريقا ، واحسست أنه يقترب من كوكبنا الارضي أكثر فأكثر،
قلت في نفسي : إنه منطلق من الارض وعائد اليها .. لكنه ابتدا يقترب مني ،
ويزداد توهجه .. زحف الرعب الى نفسي فانسحبت الى كوخى الصغير ،
وأوصدت النافذة الصغيرة ، والباب الخشبي الكبير ، واستلقيت على سريري.

لكن صوتا مرعبا قويا كان يزداد قوة ويحرمنى راحتي واستجمامى .. ثم حدثت الطامة الكبرى ، وحدث الدوى الهائل ، الانفجار .. الشظايا .. الاضائة المخيفة فى وسط الليل .. حدثت هذه الامور وانا فى سريرى . وبعد انتهاء الضجة ، واطفاء الحرائق ، واجتماع اهالى القرى من قريبة وبعيدة ، فتحت باب كوخى بحذر ، واطلعت على ما يجرى فى الخارج ، ظنا منى أن القيامة قد قامت ، ويوم النشر قد حان .. لكننى وجدت الهدوء يسود ولم أجد سوى حسناء ناعمة غامضة الاحاسيس وفى شكلها ما يريب ، واقفة امام الباب ، وحين وجدتنى سرت فاقتربت منها وسألتها :

- من اين انت ؟..

- من المريح ؟..

لاحظت أنها صماء لا تسمع ، أو أنها خرساء لا تتنطق ، أو ان لغتى ليست لغتها . جعلت فمى قريبا من أذنها وصرخت :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- ألا تفهمين شيئا ؟
لم تبد أى استياء ، تأكدت انها لا تسمع ، فخذفتها بعديد من الشتائم .. قلت (من أين هذا البلاء .. لعنة الله عليك ! ، وعلى الذى وضعك أمام بيتى !) فلم تحزن .. أمسكت يدها ، فشعرت ان يدها تشبه رغاء الصابون .. ضغطت قليلا ، كأننى ضغطت على المريح .. فلم يعجنى هذا .

ادخلتها كوخى ، وجعلتها تجلس على سريرى ، وأتيت لها بطبق من الطعام ، فابتسمت ثم ضربت الصحن للخلف بقوة ، ألصقت الطعام فى وجهى ، أغضببنى هذا فضربتها قائلا :

- أيتها الحفيرة هل أرسلك المريح لازعاجى ؟.. واخراجى عن طورى ؟.

فلم اشعر بجسم يرتطم بيدي ، وانسانة تتألم .

استلقيت على بساط ممتد فوق الارض ، حاولت الاغفاء .. وما هي لحظات حتى سمعت ضجيجا وصخباً ، وكان مجموعة هائلة من البشر تجتمع امام كوخى هذا تبع هذا طرق عنيف على الباب ، ثم ضغطوا عليه فاندفع الى الداخل وسمح لعدد كبير من مخلوقات غريبة ، مربدة ومزمنة ان تدخل الى بيتى الأمن ، تقدم احدهم وجذب الفتاة بعصبية ، ووجه الى الفاظ لم أفهمها ، لكنها شتائم لا ريب فى هذا ، بدليل الصوت المرتفع ، والاشارات العنيفة .

بعضهم اجتمعوا على ضربى وركلى ، وكانت لغتى العربية عاجزة عن ان تزيل سوء التفاهم اللعين بيننا .. كنت أسألهم وأكرر سؤالى :

- أنا من كوكب الارض .. وأنتم من كوكب المريخ .. فما الذى فعلته معكم، حتى ألقى عقابكم هذا .. ان هذه المخاوة الغريبة أنت لعندى كالمصاعقة ، لم أكن راغباً فى مجيئها وعلى الرغم من هذا لم أسئ اليها .

كان كلامى يزيدهم قسوة لمعاملتى ، قلت فى نفسى : إن ثقافتى لن تنفعنى فى مثل هذا الظرف الغريب ، قالوا اننى حققت لغات العالم بأسره ، كيف لى أن اتعلم لغة سكان المريخ ؟؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* * *

نظرت الى السماء .. كان الكوكب النارى لم يزل يسير بتوادة على خط مساره المنتظم وعينائى تتابعانه بتوادة .

ضياء قصبجى

- حلب -

غير يوم

« .. آه ما أروع ان يغمرنى الحب فاحيا
ان فى عينيه آفاقا وفى عينيه رؤيا
انا منه نبضة خافقة الجرس وسقيا .. »
« عزيزة هارون »

ما أجمل أن يحب الانسان نزعة رقراقة يتحسس بها نبضات الوجه الآخر
للحياة ، فيشتق منها نبضة واحدة خافقة يصنع بها كنه نفسه أولا ، والعالم
المحيط به فى شوق وود ومتعة لا توصف .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سرح فى عينها لحظة تأمل جارفة من لحظات انصر القليلة التى كان يطمح
فى تحقيقها منذ استمع الى قلبه الذى أوحى اليه بأن يهيم فيها ، وتهيم فيه ،
وقد نسجت هى بدورها عبر مواجهها الذاتية ، فهى تبحث عن أشياء غير
مألوفة وبالتالى ربما غير موجودة لدى كثير من الرجال .. صارحته بذلك
عندما التقت نظراتهما معا ، وعندما عصفت بها أحاسيسها الفياضة فتذكرت
اليوم الاول والايام التى تلتها ، كان من السهل أن يقفز يحلمه ، ، أن يلوذ بضائه
ويقتنص ما شاء ، ، لكنها فى كل موعد تحاوره باصرار ، تختلف معه فى
الرأى ... إنه لا يستطيع أن يفعل شيئا مع هذه الأنثى الرصينة التى لا تبالغ
فى أنوثتها ، تكره التظاهر بما ليس فيها ، فطهرها يحاوره بأن يبتعد عن
الاصناف الموبوءة ويكتفى برويتها فى منزل شقيقتها ، لا يقارعها الحجة ، بأن
المظاهر الجوفاء التى يتمسك بها غيرها هى ذات مفعول فيه هو شخصيا ، فلماذا
لا تتقاسم واياها المتعة التى ظل محروما منها .. وسرح فى عينها يود البوح
بأشياء عبر لحن موسيقى متوتر ، ، أريدها همسة من همسات الوهم .. أو

صورة من صور الحلم ، هل يظل يحمل همه الى متى ؟.. فاين إخلاصها للحب إذن ؟ ثم أين مرآة عشقها ، لعلها تعثرت بالكبرياء ، سوف تفرق في النهاية فيما بعد الشجون ، وتغسل حبها من كل دنس ، ويفوت الوقت ..

استيقظ ذات صباح ليجد غرفته مملوءة بضوء غير مألوف .. جلس في فراشه يتأمل وجه السماء في حيرة ، كانت في لون الفضة ، ثم رآها مقبلة عليه بلا استئذان ، تلقى من حوله نورا مهيبا ، استند الى الحائط في تصاب ، وانتبه اليها كأنه كان ينتظر بعض الأوامر ، طبعاً كانت هي تحدد في وجهه بامعان ، كان وجهها وقورا ، يستمد وقاره من عظمتها ، ليست ككل النساء ، وأكد ذلك ، لأنها تشعر بشئ ، من غلظة الطبع الرجالي فتغلبت تلك النزعة على ما سواها .

.. كان بإمكانه - مع مرور الأيام - أن يدرك طبعها الهادي هذا . وبخبرته الشخصية باستطاعته أن يحول حديثها من السلب الى الإيجاب ... لكنه - هو الآخر - حاد الطبع ، أين ساحل الوفاق بينهما إذن ؟.. وبدأت في الحديث ... ترغب أن يسافر معها الى قرية بعيدة ، الى قرية تائية ، لماذا !! لا يعرف .. فقد سألها عن الغرض ، تسمكت بعدم الإجابة ، وبالطاح منه ردت بأنها ستنسحر هناك حيث لا أحد يطالبه بشئ ، وأنشغل هو لشغلها المكوم ، إنها تعيش في ضنك ، في عزلة ، فحاول أن يبصرها بحبه ، أن يقول لها الكلام المعسول الذي لا بد منه لتنشيط العشق بين المحبين .. إنني أتعب من أسرارك هذه ، فانا أحمل وزري تارة ، ووزرك أخرى ، فليبدأ نغم الحب التائر فوق التصورات الشخصية ، فوق الآمال المحروقة .. لتصبح شجرة ذلك اليوم خضراء حقا في حديقة الحب الغابر .. قد ضاعت الأيام ، انتهت اللحظات بلا شئ ، وأنا أعزف على الكمان بانفراد ، لا .. يجب أن يتم العزف من الاثنين .. ينبغي أن نقول شيئا ما ، حسا ، كلمة ، حرفا ، جملة ... ان نرفض ، ان نقول .. فليفضح القول مساوينا ، نعم ... أضحك بعيني ، ولا أستطيع ضحك حقيقة .. هذا ظلم .. هذا ضعف وجبن .. يشتد القبط في قلبي ، في حواسي ، أنسج منك رواية ، لكن غير متكاملة فنيتها ضعيفة كما يقولون .. أضمد جرحي ، ليبرز آخر ، المس همى ليطلع آخر ... اسرح في عينيك .. أود البوح بأشياء دون أن أقدر .. والنتيجة ؟! نحن خيمة حزن في صحراء الحب نسير .. هل اقتنعت ؟.

.. غير يوم من أيامنا في الماضي شدني اليه خيط سميكة ، غير حفنة من تراب كنا نلهو بها في الحومة ، غير حكاية بسيطة ردها الاحباب والاهل ، غير يقظة حائلة ، وهمسة خاطفة ، وسحر موعود ... أين كل هذه الاشياء اليوم ، آه ما أروع أن يثوب المرء الى الواقع .. فيحيا كما وعد أن يكون . لقد طال انتظاري بعد ، فليضع كل شيء ، وليكشف السر للجميع .. سيقولون ما لا يعلمون .. سيرددون ما شاء لهم من الزور والبهتان ، عنى وعنك ، لقد انتهت الآن مرحلة الحب الهامشي ، فليس هناك بكاء ولا دموع على ما فات ... النسيان أقصى ما في الامكان ، التناقض بيننا يعيش أعمارنا ، سيان لديه الصعود والهبوط ، وحتى لا تأتي لحظة جبن قائمة وأطفالنا بيننا يعيشون ظلتنا .. علينا أن نلوذ بالصمت ، فالصمت أصدق تعبير عن الكلمة المذبوحة ، أو الرصاصة التي حكمتنا عليها بعدم الاطلاق ، كلماتنا ، ضحكنا ، صحنونا يعطى دفعا لأطفالنا .. ماذا يجري لو كتمتنا حسرتنا ، لو ناقشنا الزمان في مكان آمن ، ليس غريبا أن يستقل كل واحد منا بذاته ، وشخصيته ، وتناقضه مع الآخر ، سنة الله في خلقه . أنت تصرين دوما على وجوب الانسجام .. أن روحى لا تبصر أخطأها ... هذا اعتقادى ..

ما أروع أن يصنع الإنسان نزاعاته الحسية من لحظة صياغة لحظة مسؤولة ، آه لو كنت معى نختال بهجة .. ما أجمل أن يقطع الإنسان متعة ذاته من التناقض نفسه ، وعلى حسابه ، لينهض باخلاصه الذى يولد كلما أعطينا للمحبة دفأها ، هناك من يضحك على تصورات مثل هذه ، لكن ليظل محروما من الحياة ، كنا ندفن تناقضنا تحت الانقراض .. نيكى من ظلم الأحبة ، تحت الأسوار المهجورة ، فى الزقاق ، تحت شمس فقيرة ، فى الاحياء الشعبية ، فى الاسواق ، فى المنازل القديمة .. لماذا سكنت .. تصرخين فى وجهى حين تودين شيئا تافها ، العشق فى أزمة خانقة .. أنا نصفى هنا ، والنصف الآخر خارج الدار ، أتحصن ضد تعاسة اللقاء ، أقول : لماذا يسكت الوفاق ، لا تطلع الشمس ، لا تزرع المودة ؟ لماذا يحترق الحب فى هذا الزمان ؟! كتبت لك ألف جملة .. ألقيت مائة قصيدة .. مجنون أنا أتبع شارات الحب فى هذه الايام ؛ لذلك اخترع أحدهم فلسفة البديل .. البديل حتى فى المنفى ، حتى لا يحترق كلانا .. هكذا تغزونا الابتكارات ، ونحن فى حرب الحب نجمع ونحصد .. لا نعى ما يدور فى العالم من شراسة فى فلسطين ، فى أريتريا ، فى روديسيا ... من ألقى قنبلة الافكار المسافرة المهربة ، أو ما سعى بهجرة

الادمغة ،،، يا عشاق النزيف الدموى فى العالم يا أمراء الزمان ، والآمان ،
والهجران ، يا ساسة الدنيا ،، العشق فى أزمة خانقة ولذلك انفجرت أماكن
عديدة هنا وهناك ،، قنابل حرب الطبقات ،، قنابل عابرة للقارات فى أسرع
الاقوات .. يكفى الآن الضغط على الزر الاحمر .. قنابل الثورات المفدورة ،
الجوفاء المبتورة ،، أحمل الى هؤلاء ، وهؤلاء ، باعة ومأجورين ،، أحمل اليهم جميعا
حكايتي مع حبيبتي التى انتهت ببساطة .. رجعنا الى ودنا المهود ، وقصرنا
الممدود ..

... ركنا أخيرا الى الركض كالمجانين ، نلهو بعبثنا ، حتى توقفنا معا ..
عندما استمعا الى نشرة الاخبار المسائية تردد : « ما زال العالم ينتظر بفارغ
صبر نهاية الفاجعة التى تهدد السلم العالمية... » فاكثفينا بإرسال نظرة حقيرة
الىنا والآخرين ، وقلنا : على الأقل نستطيع أن نمر فى الطريق بين «المسامير»
والى الأبد !!

يحيى محمد



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

XX

هل طالعتم ؟

- (1) أعمدة من دخان : مجموعة قصصية لنافلة ذهب
- (2) واحة بلا ظل : رواية لعمر بن سالم
- (3) أبو حيان التوحيدي : تأليف محمد الحبيب حمادى
- (4) بلا رجل : مجموعة قصصية لحياة بن الشيخ

XX

الشهادة

« إن خلق الموهبة الانسانية وقتلها باسم القانون لهو اكبر عمل إجرامى يرتكبه الانسان تجاه نفسه ، وإن إصرارنا على الوقوف فى وجه الموهبة تطبيقا لحرفية القانون هو بمثابة تفصيل منا للظلمة على النور » .

بقريّة صغيرة من قرى الريف الجميلة ولد عبد القادر من أسرة غنية بأفرادها ، فقيرة بمواردها . وبين مضايها وسهولها وحقولها أمضى أيام طفولته وصباه متنقلا بين كتاب القرية ومزرعة والده الصغيرة حيث كان يقوم بمساعدة أبيه الشيخ بأنجاز بعض الأعمال البسيطة التى لا تتطلب كثير عناء كتنقية الأرض من الأحجار والحشائش ، وتطهيرها من النباتات والحشرات الضارة ، وكإعادة إصلاح أحواض أشجار الزيتون التى عبثت بها الرياح والأمطار .

وكثيرا ما كان يقوم بدور الراعى كلما كانت حالة كبرى شقيقاته الصحية لا تسمح لها بالقيام بذلك العمل الذى اقتصها به والدها دون غيرها من أبناء الأسرة بسبب ضعف بنيتها واعتلال صحتها وعدم قدرتها على تأدية أى عمل يتطلب جهدا .

وكثيرا ما كان والده يدعوّه الى لاستشارته فى مشاكل الأسرة وأعمال المزرعة ومتاعب المحصول . وهو ما يزال فى تلك السن المبكرة لما لمسه فيه من فطنة وذكاء ، وبوصفه أكبر ولده وسيد الأسرة الثانى من بعده ، وقد جعله موقف والده هذا تجاّعه يحس إحساسا قويا بالتبعات الخطيرة التى تنتظره .

ومرت الأيام ، وتزوجت شقيقته الكبرى من أحد أبناء عمومتها .. ومات أحد إخوته الثلاثة .. وتمت خطوبة شقيقته الثانية الى أحد شبان القرية .. وسافر عبد القادر الى اقرب مدينة من القرية للالتحاق بـ (الفرع الزيتوني) بها بعد أن اتم حفظ القرآن الكريم .

وبين أعمدة المسجد الجامع ، وعلى حصر القصب النظيفة الصفراء مضى يتابع الاستماع الى دروس الفقه والنحو والقراءات والسيرة النبوية ودروس الاملاء والانشاء وغيرها بينما مضى يتلقى دروس الطبعيات والرياضيات بأقسام حديثة مجهزة اتم تجهيز . ومرت الأيام رتيبة متشابهة دروس بالنهار، ومذاكرة وحفظ متون واعداد تمارين وكتابة ملخصات للكتب المطولة بالليل .

وحل موعد امتحانات آخر السنة وبعد بضعة ايام انتهت معركة الامتحانات وظهرت النتائج ونجح عبد القادر بتفوق وعاد الى قريته لقضاء العطلة الصيفية بين اهله وعشيرته وهو يكاد يترنح من فرط فرحته وسعاده وتنقضي ايام الصيف كما تنقضي الاحلام الجميلة ويرجع عبد القادر الى المدينة ليواصل دراسته بالسنة الثانية . وتتتابع الأيام يدفع بعضها بعضا ، وينتهي العام الدراسي وينجح بتفوق مرة أخرى ، ويعود الى القرية وهو يكاد يطير من فرط فرحته وسعاده ، وتحفل أسرته بنجاحه ويعقد قرانه على ابنة خالته زينة احتفالا ساذجا جميلا . وترتفع الزغاريد قوية مدوية في فضاء القرية الساكن العريض . وتدق الطبول ، وتذكي الذبائح ، وتتقاطر على دار الشيخ سليمان الصغيرة المتواضعة وفود المهنيين من أهالي القرية نساء ورجالا شييا وشبانا يغمرهم البشر وتملؤهم المسرة وتشترك نساء القرية ورجالها في تادية اجمل الاهازيج والرقصات الشعبية الجميلة . وعلى نغمات شبابة راعى القرية الشاب الحزينة الحائرة مضت العذارى يتطلعن الى عالم مشبوب فيه سحر ودفء، وغموض . وعلى الرمال الناعمة تحلق الرجال حول قصاص الكسكسي الشهى الذي فاحت منه رائحة السمن والدسم . وداخل الحيمة الكبيرة السوداء التي استعارها الشيخ سليمان من أحد أعيان القرية جلست النساء يطعمن وشرثرن بأحاديث تافهة وبأصوات صاحبة متداخلة .

وانتهت ايام الفرح ..

وانصرمت ايام الصيف ..

وعاد عبد القادر الى المدينة لمواصلة دراسته ، وفى هذه السنة تعرفت عليه حيث كان زميلا لى فى الفصل . واحسست بقوة خفية تشدنى فى إصرار الى هذا الفتى الأسمر ذى النظرات الحائرة والصوت العاطفى الحزين . وكم تسألت عن سر تلك القوة العجيبة التى ربطت بينى وبينه سريعا برباط الصداقة المقدس وعرفت فى النهاية سر تلك القوة .. إنه التشابه العجيب بيننا فى كل شىء ، فى هذه السمرة المميزة والمهجة الريفية ، وفى هذا القلق الدائم والنظرات الحائرة المتسائلة . والاحساس الوطنى المتطرف ، وفى هذا الشغف المجنون بالمطالعة والميل الملحاح الى الكتابة ، وأخيرا ذلك التشابه الذى يكاد يكون كاملا فى الوطن والأسرة .

ومرت الأيام ...

وذات ليلة من ليالى الشتاء الممطرة العاصفة ذهبت لزيارته بغرفته الصغيرة المتواضعة باحدى « الوكالات » السكنية الحقيرة القذرة التى معظم سكانها من الباعة المتجولين والحمالين وما سحى الاحذية والمنحرفين والمشبهوهين وتشعب بنا الحديث وطال بنا السهر ، وبينما كنت أنهى للانصراف عتف بى قائلا :
- انتظر لحظة ...

قال ذلك ونهض وأخرج مفتاحا صغيرا من صدارة مضى يعالج به فتح درج الحزانة القديمة القائمة بالطرف الآخر من الغرفة فى مواجهة السرير . ومضيت أراقبه فى فضول . وفتح الدرج وأخرج منه ملفا ضخما حطه فى رفق وجاء وجلس الى جانبي ونظر الى مليا ثم قال :

- بوصفك أعز صديق لى ، لم أحاول قط أن أخفى عنك أى شىء ، يتصل بى إلا هذا .

وأشار الى الملف الراقد فى حجره فى صمت وغموض ثم تابع يقول :

- لقد قررت الليلة أن أطلعك على السر الوحيد الذى ظللت محتفظا به ولنفسى طيلة سنة كاملة . ولست أريد من وراء ذلك سوى معرفة رأيك بكل صراحة فيما ستسمعه .

وانفتح ذلك الملف فى النهاية عن عالم من الفتنة والسحر والجمال . عن دنيا من الشعر والأدب والقصص الانسانى الرفيع . ومضى عبد القادر يردد على

مسمى ما خطه يراعه الملمه . ومضيت أستمتع اليه تائه النظرات مبهور
الأنفاس كالحالم أو المسحور ، وعلى هذه الحال مضينا نقطع الليل . وكلما رأيت
منه فتورا أو رغبة في التوقف عن مواصلة القراءة مضيت استزیده وألح عليه
حتى كان الصباح ، تركنا الوكالة وقصدنا أحد المقاهي الشعبية ثم ذهبنا بعد
ذلك الى محل لبيع الفطيرة أين تناولنا فطور الصباح ، ثم أخذنا طريقنا الى
« الفرع » لحضور حلقات الدروس .

منذ تلك الليلة أخذت على عاتقي مهمة تشجيع عبد القادر على نشر إنتاجه
بالصحافة الوطنية . وبعد تردد طويل نزل عند رغبتى . واهتزت الأوساط
الأدبية بتأثير من الفتنة والسحر وقتنا له النقاد بمستقبل باهر . ومرت
الايام ، وقام بنشر أول ديوان له من رائع الشعر . ثم أتبع ذلك بنشر مجموعته
القصصية الأولى ، وفي أمد قصير نبه ذكره وذاعت شهرته كاديب مجدد
وشاعر ملمه . واستطاع أن يثبت وجوده بين أدباء وشعراء الطليعة دون كبير
عناء رغم صغر سنه وحدائه عهده بالكتابة والتأليف . ومرت الايام سريعة
متلاحقة وبدأ الاستعداد لحوض امتحانات آخر السنة :

وذاذ يوم جمعة يوم عطلتنا الأسبوعية ، وبينما كنت وبعض الرفاق عند
عبد القادر نتبادل الرأي حول شؤون الدراسة والامتحانات اذا بالبواب يطرق .
وينهض عبد القادر ليرى من الطارق الذى لم يكن سوى ساعى البريد الذى
حيانا بلطف ثم سأل عبد القادر قائلا :

– هل أنت السيد عبد القادر بن سليمان ؟

ويجيب عبد القادر :

– بلى أنا هو .

ويخرج ساعى البريد من محفظته الكبيرة المنتفخة ورقة صغيرة مغلقة ويردد
وهو يسلمها اليه :

– إنها برقية باسمك .

ويأخذ عبد القادر الورقة فى توجس وارتباك ويحيينا ساعى البريد
وينصرف .

ويفض عبد القادر الورقة المأفوفة بيد مرتعشة ويسلمها الى محمود الذى
كان يجيد اللغة الفرنسية ويقول له فى صوت متلثم :

– خذ إقرأها يا محمود واخبرني بما فيها .. عجل أرجوك ..

ويخيم علينا وجوم ثقيل ، وتعلق أنظارنا بمحمود الذى مضت تنصارع على وجهه شتى انفعالات الحيرة والتردد والألم . ويصيح به عبد القادر فى صوت يهتز من الانفعال :

– ماذا هناك ؟.. خبرني أرجوك ..؟

ويردد محمود فى صوت متهدج حزين وهو يتحاشى النظر فى وجه عبد القادر :

– البركة فيك فى والدك يا صديقي :

ويصرخ عبد القادر فى شبه عويل :

– ماذا ؟ مات أبى !! أحقا مات أبى ؟!

* * *

فى ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم جلست الى عبد القادر أحاول ثنيه عن البقاء بالقرية بينما كان هو مستغرقا فى حزم أممته ، وأمضى اتوسل اليه وأترجاه بالاطيل إقامته هناك نظرا الى قرب الامتحانات . وبعد صمت طويل يحببني فى هدوء ، وقد اضطررت على وجهه الشاحب شبح ابتسامة غامضة باهتة :

– آه .. الامتحانات ..! ولكنى قد امتحنت بما فيه الكفاية يا صديقي حتى الآن على الأقل ولم أفرغ بعد من الامتحان .

تريدني أن أعود لمواصلة دراستي ؟ حسنا اني معك فى ذلك ولكن من أين لى بالمال اللازم لمواصلة رحلتى الطويلة الشاقة ومن لأسرتى من بعدى وقد أصبحت منذ الآن المسؤول الوحيد عنها ؟.. لقد انتهى كل شئ، بالنسبة الى يا صديقي والى الأبد .

وعاد عبد القادر الى القرية ليعول أسرته ويرعاها . ومرت الأيام ، وظل الاتصال بيننا قائما عن طريق المراسلة . وقد حاولت كثيرا أن أتصرف على سير حياته هناك من خلال رسائله الى ولكن دون جدوى . وانتظرت طويلا أن يحدثني من تلقاء نفسه عن نفسه . وزاد قلقي عليه . واشتدت حيرتى وفضولى بسبب سكوته المتعمد عن أسئلتى فكتبت اليه ذات يوم رسالة مطولة رجوته

فيها أن يحدثنى عن حياته ، عن مشاكله وآلامه وآماله . وانتظرت الرد بصبر نافذ ووصلنى رده بعد أيام مخيبا للأمل لا يحمل جوابا عما أردت معرفته ، وكانت رسالته فى هذه المرة أيضا ككل رسائله الى لم تخرج عن طابع التعميم الذى اصطبغت به دائما ، تراه لم يتهرب من التحدث الى عن نفسه ؟ هل من سر فى حياته ؟ أم تراه يفعل ذلك رحمة بى وشفقة على ؟ أم لرغبته فى الا يكون محل عطف من أى إنسان حتى ولو كان أقرب الناس اليه ؟

وتلاحقت الأيام ، وانتهت دراستى بالمرحلة المتوسطة . وشاركت فى مناظرة للمدرسين بالتعليم الابتدائى وعينت مدرسا بالمدرسة الابتدائية التى أحدثت بقرية صديقى عبد القادر وملأت الفرحة جوانحى ، فرحتى بلقاء عبد القادر أكثر من فرحتى بالنجاح نفسه . وقبل سفرى بأيام قليلة كتبت اليه أخبره بالامر وأطلعه على موعد قدومى الى القرية .

وذاث يوم ودعت أسرتى وأخذت أمتعتى وركبت القطار قاصدا مقر عملى الجديد . وبعد رحلة طويلة مرهقة توقف بنا القطار بمحطة القرية التى اختارتنى الأقدار لاكون أول معلم بأول مدرسة ابتدائية تنشأ بها ، وكان الوقت عصرا . وعلى رصيف المحطة المنهدم لاج لى عبد القادر يقامته القارة وسط جماعة من أبناء القرية والى جانبه مركبة صغيرة شئت الى فرسى عربى أصيل . ويسرع نحوى فاتحا ذراعيه وقد أضابت وجهه ابتسامة مشرقة .. وطال عناقنا وتقدم منى وفاته وسلموا على فى حرارة وبينما كنت مشغولا بسؤاله والاجابة عن أسئلته كان بعض الرجال يقومون بنقل أمتعتى الى المركبة الصغيرة التى أهداها اليه أحد أثرياء القرية كما عرفت ذلك منه فيما بعد وحيينا القوم وامتنطينا المركبة الصغيرة الجميلة التى مضت تخرق بنا مسالك القرية العريضة المقفرة فى تمهل وأناة بينما مضى بعض الصبية يجرون خلفنا فى سعادة ومرح .

وقال لى عبد القادر ونحن تقترب من بناية صغيرة حديثة البناء أنيقة المظهر :

— هذه مدرستك .. إنها جميلة أليست كذلك ؟

قلت فى رضى وأنا لا أشك لحظة فى أنها أجمل مبنى فى القرية :

— إنها لكذلك .. فالى هناك إذن .

فالتفت الى وقال وهو يبتسم :

- ليس الآن ..

ونظرت اليه متسائلا . وربت على يدي وتابع يقول في هدوئه المعتاد :

- ستقيم معنا بالبيت بضعة أيام . ثم لك أن تلتحق بمدرستك بعد ذلك متى شئت . وحاولت أن أقول شيئا لكنه نظر الى طويلا كأنه يعاتبني فلذت بالصمت . وأمام منزل ريفي بسيط توقفت بنا المركبة والتف حولنا بعض أطفال القرية . وقد انضم اليهم أولئك الذين رافقونا من المحطة . وبينما كنت أترجل من المركبة صاح عبد القادر بأحد الصبية يدعوه اليه . كان طفلا أسمر البشرة موفور الصحة في الخامسة من عمره تقريبا . قال له وهو يربت على كتفه مشجعا :

- تعال يا عمر سلم على عمك عبد الكريم الذي كثيرا ما أخرجتني بالسؤال عن موعد قدومه .

وتقدم الطفل مني في استحياء ومد الى يدي الصغيرة وهو يتمتم في صوت خافت متلعثم :

ARCHIVE

- على السلامة يا عمي .
ثم ولي لا يايو على شيء . وضحك عبد القادر وقال : إنه خجول ، ثم التفت الى الرجل الذي كان يقوم بانزاله أمتعتي من المركبة وقال له :

- أحمل الاشياء الى المنزل ثم أرجع لتسريح الفرس ، ثم التفت الى وقال وهو يقبض على يدي :

- عيا بنا الى المنزل .

ولم يترك لي فرصة للسؤال عن عمر ، وبينما نحن نجتاز السقيفة الواسعة الى الداخل صاح عبد القادر :

- هذا أخى عبد الكريم يا اماء .

وما أن أجتزنا السقيفة حتى وجدتنى أقف أمام عجوز مهيبة الطلعة تلوح على وجهها المشرق آثار جمال ولي . واحتضنتني في حنان ومضت تطبع على نتفي قبلات ساذجة بريئة على عادة أهل القرى في تحية أقربائهم وأحبائهم . ثم تبعتها زوجة وشقيقته الصغرى وتبعهما بعد ذلك بقليل شقيقه منصور الذي كان خارج المنزل وهو شاب في الرابعة عشرة من عمره به شبه كبير بعبد القادر .

ومرت الأيام حلوة عذبة .. وعرفت عن حياة عبد القادر ما كنت أتحرق شوقا الى معرفته . عرفت أنه تزوج منذ سنوات مضت من ابنة خالته زينة . وأنه أصبح أبا لطفل يزيد عمره على خمس سنوات ، وأنه يحيا حياة بسيطة خشنة ككل فلاح ريفي صغير حياة كلها نضال ، كما عرفت أنه يكاد لا يتقاضى ثمنا عن مؤلفاته التي يقوم بنشرها . وذات ليلة سألته :

– لماذا لا تطرق باب الوظيفة يا عبد القادر ؟

فاجابني وهو يبتسم في مرارة :

– لقد حاولت ذلك فعلا لكنني لم أفلح .

فصحت به في دهشة واستغراب :

– ماذا تقول ؟ أهذا ممكن ؟

قال :

– لقد حاولت كما قلت لك ، طرقت أبواب عدة ادارات دون جدوى ، والحق أننى لم ألق من كل المسؤولين الذين قابلتهم الا التقدير والاحترام ، كانوا جميعا يعرفوننى تقريبا من قبل أن ألتقى بهم ، وكان السؤال الذى يوجهونه الى دائما هو :

– ما هى الشهادة التى تخلفها يا سيد عبد القادر ؟

وعندما كنت أجيب بأننى لا أحمل أية شهادة لا يجد السائل مفرا من أن يقول لى فى كثير من الحرج والآسف :

– يؤسفنى يا سيد عبد القادر بأن أقول لك إن القوانين المعمول بها لدينا لا تسمح إلا باستخدام الحاصلين على شهادة من صنف كذا أو ما يعادلها .

ويسكت صديقى لحظة ثم يسألنى مداعبا :

– والآن أما يزال لديك ما تريد الاستفسار عنه ؟

– الشهادة !!

ومضيت أردد هذه الكلمة بينى وبين نفسى وكأنى أسمعها لأول مرة ، أو كأنى لم أعد قادرا على فهم المعنى الذى تعنيه ..!!

محمد الحموسى الحناشى

سنتقى فى الجحيم

- أريدك أن ترحل عن هذا البيت . تترك الديار نهائيا فمجرد وجودك أمام ناظرى صباحا مساء يضايقنى ، ألم تنفطن الى ذلك ؟

- لكنه بيتى ! كيف تريدنى أن أرحل عنه ؟ ما ذنبى إن كان وجودى يضايقك . ثم بينى وبينك أنا كذلك أصبحت فريسة هذا الاحساس لكننى لن أتخلى عن بيتى لأجل ذلك ...

- ما كان فى يوم ما بيتك .. أنا الذى بنيت . وفرشته . وجهزته بكل اللوازم العصرية .

- لكن الأرض ورثتها عن أبى . أريد أن أريك العقد ؟

- لا داعى لذلك .. لست ممن يهتمون بالعقود ، والاوراق .. أما علمت أننا اشترينا الأرض من أبيك ودفعنا له مالا وفيرا ، فمن أى عقد نتحدث ؟

- لم يبع أبى شيئا . أنت كاذب فيما ادعيت . البيت بيتنا وقد ولدنا فيه . لقد قالت لى والدتى ذلك قبل أن تفارق الحياة .

- لم يكن بيتا أيها المسكين . كان كوخا حقيرا ، فى أرض جرداء قاحلة . إن ما تراه الآن هو من صنع أبى . ياله من رجل عظيم ! كان مهندسا بارعا . شديد الطموح .. دائم التحمس الى العمل ، أما والدك فلم يكن غير تاجر حقير ، ضعيف العزيمة .. بارد الهممة ، سكير ، عرييد باع كوخه من أجل كأس خمر أتذكر ذلك ؟ هذا ما قاله لى أبى ..

- خستت أيها اللثيم .. أبى ما كان ليترك بيته لولا ظروفه القاهرة ..
- أرجوك لا تعتمد الخطأ ، قل كوخه لا بيته ..
- لا يهم ماذا يكون ، فالأرض أرضى وأنا الآن أريدها . عدت لاسترجع حقى وسوف آخذه عنوة إن لم تشأ أن تفهم .
- حسنا .. أرنى شطارتك . لن أترشح من هنا ، ولن أتخلي عن ملك لى .
- سوف أخبر الشرطة ..
- لا تستطيع اية قوة فى العالم أن تغلب على . ثم لا تنس أن الكل معى . وأنا الآن أتحكم فى الجميع . العظماء والكبار ينحنون لى رغم صغر سننى وذلك نتيجة دهائى وامتيازى عليك ..
- لا بد من قانون يردعك .. ويعيد إليك صوابك ..
- أرض الله شاسعة ، لم لا تبحث عن بيت آخر ، أم أنت ممن يتعلقون بالمشاكل ؟
- إن كانت أرض الله شاسعة فلماذا لا تذهب أنت وتبحث عن بيت فيها ..
- أما أنا فلن أتخلي عن حقى لأهم فى أرض الله الشاسعة كالكلب الضال .. أنت لى سافل .. لكننى سأضع حدا لسفالتك ..
- حاول إن استطعت لا ضرر من المحاولة . لكنك لن تفلس فى ازاحتى عن مكانى ..
- القانون معى . والعدالة طوع يدى .. لن أسكت عن ضياع حقى .
- مغفل . العدالة هى رغباتى . والقانون هو ارادتى . كل ما عدا ذلك جنون وحمق ..

★ ★ ★

- صراخ ، تنشب معركة بين الاثنين . يتدخل جار محاولا فض المشكل وتهدة الخصمين ..
- لم لا تتفقا على رأى . ليس هذا اجدى وأنفع من الحناق والسباب ؟
- انه أحق لا يريد أن يفهم ..

- بل قل إنك سافل ، تظن أن استبدادك يكسبك القضية . أنا لا أهابك ، فلتكن على علم ..

- صبرا .. صبرا .. لن تصلا الى حل وسط هذا الجو المكهرب . لم لا تعطيه ثمن الارض ما دام يصبر على أنها له . بذلك يستطيع شراء أى بيت يروق له .. فى أى مكان ..

- هيهات . لقد أخذ أجره منذ زمان ولن أعطيه فلسا أكثر مما أخذ ..

- من قال لكما : انى أقبل هذه المساومة الحسيسة ؟.

- اذن اقتسما البيت ، لكل واحد منكما ثلاث غرف ..

- اصمت أنت . يالك من سخيف ! كيف أعيش فى ثلاث غرف ؟ ست غرف ولا تكاد تكفينى . كنت أود شراء منزل جارى لولا ..

- قل كنت تريد الاستيلاء على منزل جارك لولا أنه كان يقفأ وقف لك بالمصاد .. لم يكن مغفلا مثل أبى ..

- لا تغرنك يقفأته . قلت : سأفكك المنزل .. سأفككه .. سأزوج قريبا ولن أكتفى بهذا البيت الصغير اذ ستكون معى عروسى وأهبا ..

<http://Archivebeta.Saki> وماذا يهمنى من أمرك ؟

- يمكن لكما أن تتجاورا حتى نجد حلا للمشكل ، اليس هذا وجه العقل ؟

- سوف يترك حالا بيت والدى هذا هو وجه العقل ..

- هل عرفت يوما والدك ؟! أنسييت أنك لقيط وقد كانت أمك طريدة العدالة ، وأها أبى وآمنها من جوع . أطلب الآن حقوقا بعد ما عشت العمر شريدا ؟

- كاذب ، فأبى هو الذى آواك وأنت ما تزال طفلا رضيعا و ...

- ربما . لكن أبى هو الذى بنى البيت بعد ما كان كوخا مهدهما . وهو الذى غرس الاشجار .. والورود حتى غدا جنة عابقة الاجواء ..

- حسنا .. سوف أهدم البيت كله . أقتلع الاشجار والورود . ولا يهيك بعد ذلك إن بنيت فى أرضى كوخا أم قصرا .. أو زرعت الحديقة بالأعشاب أم بالورود .. هذا شأنى ..

- أنت مجنون . لن أهدم فى لحظة غياب ما بناه أبى فى سنوات من الصبر والدهاء ..

- كفى لا تحاول خداعى أكثر برواية أبيك ، وتعبه ومعاناته . ألم تنظرن الى افتراء أمك . أنت هو المقيط .. لا تحاول أن تخدع الناس أكثر بعظمة أبيك .. وشرف أمك . لقد استفاق الجميع من غيبوبتهم ، وبزغت شمس الحقيقة ..

ألا تعرف أبى ؟ انظر الى هذه الصورة أيها الاحق . اليست هذه صورته مع أمى وقد تعانقا كأجمل عروسين .. ما الطفهما وما أسعد حظى اذ كنت بينهما ..

- معنوه .. هذا ليس والدك .. إنه عشيق أمك أما علمت بذلك . أنت لقيط صدقنى .. وبائس أكثر منى رغم غرورك ، ومظهرك الزائف ..

- كاذب .. أعرف ذلك .. ثم لا يهمنى من يكون . فقد ترعرعت بين أحضانه . بنى لنا البيت .. أو ساعد أمى على بنائه . لن تززع إيمانى به .

- لقد كان مجرما حقيرا كاماك .. ومثلك . وأنت أيها الجار الكريم ألم تسمع بالحكاية ؟ أما كنت عارفا أنه لقيط متشرد وأمه امرأة فاسدة .

- أنا لست بجاره . إنما مجرد ضيف فى هذه الربوع وسوف أرحل عما قريب .. وأظننى سمعت بحكاية مثل هذه ، لكننى لم أهتم بالامر كثيرا . ليس لى أية رغبة فى الغوص فى مستنقع حياتكما القذر . أنا مجرد ضيف ، لا جار ..

- كفى أظنن أن حديثكما السخيف سيحل المشكل ؟ أنتما تصدعان رأسى ، وتضيعان وقتكما عبثا . اخرجا من بيتى .. لا أريد أن أراكما ..

- أحتى أنا تطردنى ؟ خسئت أيها الناصر للجميل ! كنت أعرف أنك فى يوم ما ستتمرد على رغم تقربك الى ، والحاك فى طلب مودتى ..

- لم أعد فى حاجة الى مساعدة أحد . العالم لى . الارض لى . اذهبا الى الجحيم .

- تعال اليك بسرى الحظير .. هو حقا لقيط . منبوذ من عتيرته . جدى هو الذى أوامه . انتزع الارض من أبيك الكسيح . طرده من بيته فى ليلة

عاصفة ، وقد كان عاشقا أمة . لكن اللثيمة خدعته بعد أن استتب بها الأمر ..
وازدهرت حالها . هل عرفت الآن حقيقته ؟ لماذا لا تحاول التقرب مني ؟
مشكلتك أنك لا تريد فهمي .. لا تستطيع أقوالى .. تشك في كل خطوة ..
من خطاى .. أنا أستطيع أن أفعل من أجلك الكثير . أفعل ما فعله جدي ..
لكن الى أين أنت ذاهب ؟

- الى الجحيم أختطف جمرات أحرق بها سحتكما معا . أسلخ وجهكما
معا .. أعرف أن الشك يسحقنى ، لكن ربما كان فى الشك يقينى ..

- أبله اذ تتبع طريقه الشائكة فى التحدى .. أستطيع أن أفعل من أجلك
أشياء لو قبلت الرضوخ لكل أقوالى . ثم لو نلتقى على انفراد حتما ..

- لن نلتقى الا فى الجحيم ، هناك ساعائق جدك ، ووالده ، وأمه ، سنرقص
جميعا فوق قمة الحريق .. وسأعرف ساعتها كيف أعيد الارض .. والبيت ..
والقبيلة النائية ..

- أغبياء .. كلكم من سلاسل أغبياء . أنت أصبحت تتناول على ، وأنت
أيها الصعلوك لا تريد الاعتراف بى ولا ترضيك مساعفتى .. عليكما اللعنة .
تفهقه أنت أيها الجاحد .. حمار لما ظننت ..

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

- غدا لا بد أن يلتقى كل الحمير فى الجحيم . لا بد أن نرقص فوق قمة
الحريق .. لا بد أن يلتهم الكل الحريق .. لا بد ..

- الموت لكما .. اتحديان ارادتى !! الذنب ذنبى . أنا الذى قبلت أن
أكون عوناً للحمير .. الويل لى ..

- لا تنس .. أعلم كل الحمير . موعدنا غدا صباحا .. لا بد أن نلتقى فى
الجحيم .. لا بد .. أنا فى الانتظار ..

حياة بن الشيخ

جوانب من الابداع الفنى فى « حدث أبو هريرة قال .. »

قال : فيم السؤال ؟ إن السؤال من

علل الانسان . أتحب القصص ؟

قلت : نعم .

قال : وتفهمها ؟

قلت : لا أدري !...!

(حديث الحكمة ص 161)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أريد أن أفهم معاصرى من الكتاب التونسيين خاصة ، إذ دأبت على ذلك منذ أن خضت غمار الكتابة والادب . فالفهم هو استكشاف للآخر . وهو ادراك لذاتى الهاربة عنى . وهو ربط الصلة المتينة بين المشاغل الكثيرة التى تشغل أفكار جيل أو أجيال متعايشة من الكتاب فى شؤون الحياة والاجتماع والسياسية والفن ...

فالفهم ، ولا سيما فهم الآخر واستكشافه ، يقتضى التجرد من آفات الأنانية ، والتخلص من المواقف المتحجرة ، والانصراف عن التفكير النموذجى انسبق ، سواء كان منهجيا ، أو حتى حقائق ثابتة ... والفهم قد يكون استحوذا على الآخر ومضمه بعلاته وليس معنى ذلك تحبيذه أو الموافقة عليه .

(I) عن اللقاء الذى نظمه النادى الثقافى « أبو القسم الشاذلى » حول كتاب « حدث أبو هريرة قال ... » .

بل هو التسرب اليه ، الى داخله ، الى نواته ، الى ذاته ، الى كنهه ، بوصفه كلا
متماسكا ... ووضعه في إطاره .

لقد قرأت شيئا من « أحاديث أبى هريرة » فى مجلتى « المباحث »
و « الفكر » منذ زمن ، كما قرأت مسرحية « السد » و « المسافر » .
والحقيقة انى لم أفهم يومئذ محمود السعدى الفهم الصحيح رغم تصريحاته
وبياناته ، بالإضافة الى الفصول النقدية التى خصصت لانتاجه الادبى .

وتساءلت : « من هو هذا أبو هريرة ؟ علام هذا الاسلوب المنحوت ؟ وما
معنى فلسفة الفعل وبروزها زمن استقلال تونس ؟ وما هدف « المسافر » ؟
وهل لمحمود السعدى رسالة أو التزام أم هو فى حل من ذلك ؟ »

فكان فهمى يومئذ ناقصا ، ميتورا ، بل جزئيا لأننى لم أقرأ أغلب ما كتبه
محمود السعدى ونشره فى مختلف مراحل حياته الفكرية والعملية .

وها هو النقص اليوم ينتفى . فقد صدر منذ شهر كتاب « حدث أبو هريرة
قال ... » الذى حوى جميع الأحاديث ، وبوبها ، ومهد لها ، وشرح جانبها من
غواض نوايا مؤلفها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

و « حدث أبو هريرة قال ... » سابق كتاب « السد » من ناحية تاريخ
الانتاج ، وحلقة أولى فيما يبدو فى سلسلة حياة محمود السعدى الادبية .
لذلك جاء هذا الكتاب يحمل فى مضامينه ، وصيفه ، وأسلوبه ، ولمسات
تعبيره ، ربما مفاتيح لفهم الحلقات اللاحقة . لهذا ، فهو بالغ الأهمية .

وقد وصلنا هذه الأيام ان محمود السعدى يتأهب لإصدار « حديث
النسيان » و « السندباد والطهارة » وعدد من الفصول الفكرية والادبية
والفلسفية التى كان نشرها فى مجلة « المباحث » .

أنت تفتح هذا الكتاب ، فتباغتك فيه أمور ومسائل شتى يسترعى انتباه
ذكرك ، ويقتله حسك ، وشعور قلبك . فتتصفح الورقات ، وتتنظر ، وتطيل
النظر مرارا ، وتعيد القراءة مرارا أيضا . وتفهم من هذا الكتاب أشياء كثيرة ،
لكن تظل أشياء باقية فيك تعالجها قدر ما أمكنتك المعالجة ، من بينها على الأقل :

(1) مشكلة الطرافة

(2) قضية الشكل الفني

(3) منابع الخيال الفني

بهذه المسائل الثلاث ، تستطيع أن تحصر موضوع الابداع الفني لدى محمود المسعدى ، وأن تتسرب اليه بكل يسر ، وأن تفهم جوانب هامة جدا منه ، رغم ما يتضمنه هذا الكتاب من مسائل أخرى ذات باع فكرى لا ينكره الا الجحود .

* * *

مشكلة الطرافة

كل كاتب طريف ! ولو كان من الطبقة الثانية أو من الطبقة الثالثة من بين معاصريه ، ولو كان من المحبرين والمستكتبين والمخريئين ...

إنى لا أقصد بهذا المعنى أن كل كاتب هو « وحيد عصره وفريد زمانه » ، أو من جنس الانبياء والرسل الذين خصوا بالوحي والتنزيل ، أو من « الكواكب » التى تتكالب على التالىق الاشهادى مهما كان الثمن ...

بل ان الطرافة - بقطع النظر عما تتضمنه من احكام بالقيمة - تعنى فى مجال الادب : كل ما يتميز به كاتب من الصفات الادبية والفنية والفكرية ، وربما الشخصية ، دون غيره من الكتاب ، سواء تمثل ذلك فى نوعية أساوبه ، أو طريقة معالجته الاشكال الفنية ، أو صفة طرح القضايا الاجتماعية ، والمشكلات الفلسفية ، أو صفة نظراته الى دنيا الناس ، وتأمله فى أوصال الزمان ، ومعضلات المصير الانسانى .

ففى رأى ، هذا تحديد أدنى لمعنى الطرافة فى الكتابة الادبية ، انذى يشترك فيه جميع الكتاب ...

على أن للطرافة درجات مختلفة ... يشير أهمها الى **الجديد الحديث** (حسبما جاء فى المعجم) من أشياء الناس ومتاعهم وشؤونهم وسلوكهم ومواقفهم وآرائهم ، خصوصا فى المجتمع الانسانى الحديث ، ويدل بعضها على ما يبرز من التضاريس فى عملية الابداع الفنى والادبى ، وما يلقت اليه منها الانظار

والاذواق ، وهو ما يسمى حيناً بالابتكار ، وأحياناً بالخلق ، وفي أحوال نادرة
بالاختراع ...

ومقابل هذه التعريفات ، ثمة استعمال متنوع لكلمة الطرافة في الكتابة
الادبية . من ذلك أن عددا كبيرا من كتابات المحدثين تستعمل الطرافة
احتجاجا واشترضا ورفضاً للقديم ، واستهزاء ساخرا بالمألوف ، وانكارا
للمبتذل ، وتحطيما والغاء لكل ما هو مجتر من القول والتعبير والاسلوب
واللغة ، ومعروف مكروه من السبك والنسيج والنظرة والمنهج والطريقة ،
وممجوج مروج من كليشيات المحتوى والتشخيص وحتى الخيال ...

كما يستعمل الذين ثقل عليهم السن معنى الطرافة مرادفا للزيف ،
ومضاهيا للسطحي ، ومشاكلا للهش ، وموازنا للرخيف ، ان لم يوصف في
أحوال الغضب « بخالف تعرف » أو بذلك التعريف الذي نص عليه المعجم
لكلمتي الطرافة والطريف ، وهو « القريب النادر » ...!

لكن محمود المسعدي لم يتجيز لأحد معاني الطرافة على معنى آخر ، ولم
يستعمله استعمالا متضادا ، بل هو جاء بأمر طريف ...! إذ ركب الطرافة على
القدم ، وأعطى القدم معنى الجدة ، ووزاها بين باطن الإنسان ومشاعره ، وبين
أعماق تجارب « أبي هريرة » و « ربحانة » و « ظلمة » ومدى أغوار نوازعهم ،
وتشبث في آخر الجواهر ، وانصرف كل الانصراف عن العرض العارض
كما قال ...

لقد أكد لنا في تمهيد الكتاب : « ليس في نظري أطرف من جدة القديم
كنفسك وأحلامك وأسالك وحيرتك » . فكانه يقول من خلال هذه الجملة
الشديدة الإيجاز : ما من جديد الا يصير قديما ، وما من طريف الا يصير
مبتذلا ، والجديد طاري ، والطريف عفوي . والقيمة الباقية على وجه الدهر هي
القدم . لكنه يتساءل : وهل يبقى القديم قديما ليكون القيمة الباقية على وجه
الدهر ؟ إذ يعلم أن من القديم ما يظل ويستمر ويبقى جديدا كأول عهده
بالدنيا ، وحداثة إلفه للكون ، كباطن الانسان ... فهو قديم ، قدم الانسان
نفسه . لكن الجديد فيه هو ما يصدر عنه بفتة ، والحديث منه هو ما يتكيف مع
أحوال الزمان ، والطريف فيه هو ما يتتابع عبر التقلبات غير المنتظرة التي

تطراً على النفس والمشاعر ، والجدة فى كل هذا القدم ان الباطن الانسانى لا يعرف مدى ظلمته لانه محل سعى شديد ، قوى صلب الى استكشافه واستكناحه منذ أن أعلن سقراط « اعرف نفسك بنفسك » .

ومن يؤول « ليس فى نظرى أطرف من جدة القديم » على نحو الاحياء وانبعث والتجديد : كاحياء التراث ، وبعث الموات ، وتجديد النظرة الى الكون على أساس قواعد قديمة ، فانه يخطئ كثيراً . إذ ان الذى ذهب اليه محمود المسعدى فى مقالته - بالاضافة الى وضع معضلة باطن الانسان - هو مشكلات القيم التى يعمل الانسان منذ خلقه على تحقيقها فى نفسه ومجتمعه ومصيره ، كالحرية التى هى من أقدم القيم التى خاض فى شأنها الانسان ولا يزال يخوض فيها فى جميع المجتمعات الانسانية ، قاطبة . فهي قديمة ولكنها جديدة . بل هى جديدة قديمة ، جدتها فى طرحها اليومى المستمر ، وقدمها قد يكون فى ذاتيتها ، اى باختصار طرافتها فى واقعها .

على ان المؤلف قد التمس من القارئ أمرين اثنين :

(1) ألا يطلب الجديد من المعانى والطريف فيها خلال هذا الكتاب ، « لانه ليس من شأن الكاتب الجدة والطرافة » (حسب قول الكاتب) ورغم هذا المنع ، يذكر محمود المسعدى : و « لعل أجد ما فى هذا التأليف هو روح أبى هريرة ... »

(2) « ان يدخل القارئ الى هذا الكتاب بأمر الباطن » ، وأن يقبل عليه بمشاعره وأفكاره حتى تنجم المشاعر والافكار الطريفة من نفس القارئ . ذلك أن هذا الكتاب هو حسب قول الكاتب « دعوة الى القارئ لاجياء ناره » ...

نحن نظل أمام هذا الالتماس حائرين . فهل نلبى أم نعرض عن ندائه ؟ فنقتحم مجاهل كتابه ، ونتمرد عليه ، ونعلن العصيان ؟! فرب كاتب يضرب حجاباً كثيفاً على كتبه وأعماله . فلنمزق هذا الحجاب ، ولنسأل :

هل كان محمود المسعدى طريفاً مغرباً فى الطرافة حين نشر لأول مرة بعض « أحاديث أبى هريرة » فى مجلة « المباحث » ؟ فى هذه المجلة التى

صدرت في أعقاب الثلاثين ومطلع الأربعين من هذا القرن ، يوم كان عدد من الكتاب ينشرون فيها قصصا اجتماعية وأخلاقية وتاريخية ، ومذكرات ، وفصولا ومقالات بلغة عربية سهلة ، وبأسلوب يسير يقبل عليها المتعلم (فضلا عن المثقف) لما تحويه من المشاكل والمشاكل التي كانت تشغل بال المجتمع التونسي التائق الى الحرية ، ويوم كان أيضا عدد من رجال التعليم يتمنون بمشقة على التحرير باللغة العربية لاتقان النحو والصرف ، وعدد آخر منهم يتدربون على نظم الاشعار في ايقاعات رومانطيقية باكية ، نعم ، ويوم كان كذلك بعض الباحثين يعالجون قضايا التراث الشعبي العربي ، أو يعرفون بأعلام من الفكر الغربي الحديث ، أو ينقلون مسرحيات يونانية عريقة المأساة ..!.

لا أعتقد ان محمود المسعدي كان يتكلف الطرافة ، أو يتصنع الجديد ، أو يجري وراء الاستطراف ، لان الطرافة هي تلقائية . ورغم ذلك ، فلقد كان طريفا بالنسبة لسائر الكتاب الذين اسهموا في اصدار مجلة « المباحث » بانتاجهم القصصى والروائي والمسرحي والفكري . فخرج عن الاعمال الادبية التي ما تزال في رأى عدد كبير من الدارسين والاساتذة الجامعيين اليوم طريقة بمستواها العادي المألوف ! - هذا اذا استثنينا بطبيعة الحال انتاج المرحوم علي الدوعاجي - وسلك منهجا أدبيا أقل ما يقال فيه انه انفرد به دون غيره من الكتاب ، ولم يسبق اليه سابق بمثل ما له من جأش وجسارة وصلابة في تاريخ الادب التونسي ، بل في التاريخ العربي المعاصر الى تاريخ تلك الفترة ، فانعزل بذلك محمود المسعدي وتحصن في قلعة أدبية وفكرية وفنية منيعة قد شيدها بأحد الانواع الادبية العربية ، وجهزها بالمفاهيم الوجودية والماورائية والاخلاقية ، ونحتها من لغة قاسية قساوة الصخر ...

قضية الشكل الفني

من البديهي أن كل قلعة من هذا الطراز تحتاج الى مفاتيح أبرابها ، واقتحام داخلها ، واستكشاف هياكلها ، ومعرفة معمارية بنائها .

لانت هذه المفاتيح مجهولة ، أو مغشورة ، أو مفرقة ، ومشتقة بحكم تشمتت « أحاديث أبي هريرة » نفسها ، وعسر الظفر بها . واليوم ، وقد صدرت

المجموعة الكاملة « لأحاديث أبي هريرة » فى كتاب بعد تبيها أكثر من ثلاثين سنة ، نستطيع الحصول عليها . وهى موجودة داخل القلعة ، لا خارجها ... وأول مشكلة يجب قضاها هى مشكلة النوع الادبى القديم الذى اختاره محمود المسعدى لصياغة نصوص هذا الكتاب ، وهو الحديث . ولنتساءل فى هذا المعنى :

لماذا لجأ محمود المسعدى الى اختيار هذا النوع القديم الغارق فى القدم ولم يتناول قالب الرواية كما فعل بالنسبة « لمولد النسيان » ولم يعالج شكل المسرحية كما صاغه فى « السد » ؟ ولم يسجل ترجمة فكرية ذاتية كما صنع « المسافر » ، ولم يكتب « أحاديث أبي هريرة » فى فصول كما كتب مقالات عن أبي العتاهية وأبي العلاء ؟

فهذا الاختيار الجمالى أسباب لا شك فيها . منها ان شكل الحديث ليس له من القواعد الجمالية المضبوطة والمقننة واليابسة ما للانواع الادبية الغربية التى قراها محمود المسعدى سنوات الطلب والتحصيل والتدريس والمطالعة والنظر ، وتبناها زملاؤه الكتاب العرب منذ مطلع هذا القرن . وهى معروفة : الرواية والمسرحية والقصة والأقصوصة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فالحديث شكل طيع ، لين ، لدن ، مرن ، متقلب . يكاد يكون متحررا من الشروط الجمالية المجحفة التى كانت تتخبط فيها جل الانواع الادبية الغربية فى السنوات العشرين والثلاثين وهى سنوات تأليف « الأحاديث » .

فالحديث يمكن له أن يتكيف فى حكاية ، أو أن يتحول الى خبر ، أو أن يصاغ فى صفة نوادر وملح ، وحكم وأمثال ، ومغاز وعبر . وقد يطول نصه اذا اقتضى الاطناب ، ويسر الوصف والتحليل ، وقد يقصر على قدر حاجة الكاتب الى الإيجاز وربما الاختزال . وقد ينسج فى حوار بين شخصيتين أو أكثر ، وقد يحاك فى حديث نفسى متداع ، وقد يحرق بأكمله فى سرد متتابع ، وقد يستعمل فيه جميع الضمائر بلا استثناء ...

ويتلون الحديث بالوان الكذب والصدق ، فمن الوان الكذب والباطن الحديث الذى يتخذ مظاهر الحرافة . ومن الوان الصدق الحديث الذى يصاغ فى خبر

تاريخي صحيح لا يشك فيه شك ، ولا يناله الريب من أى وجه من وجوهه ،
كالوثيقة التاريخية ...

لكن ، ليس معنى هذا ان الحديث بوصفه نوعا أدبيا قائما بذاته لا يمتلك من
الانواع والضوابط والشروط الجمالية ما يؤهله لان يكون نوعا فنيا جيدا . بل
ان له أدوات ثلاثا لا بد من توفيرها حتى يكون الحديث حديثا حقا :

الأداة الأولى : أن يتكر الكاتب شخصية الراوى الذى يلقى الحديث .

الأداة الثانية : أن يعمل الكاتب على إكساب حديثه مظاهر الصدق ، ولو
كان حديثه باطلا ، أو من كلام الجن ، أو من لغو المعتمهين ...

الأداة الثالثة : أن يحصل « شىء » للقارىء من خلال محتوى حديثه .

وعلى قياس هذا ، فقد حشد محمود السعدى - بالنسبة للأداة الأولى - فى
هذا الكتاب ستة عشر راويا أو محدثا يحمل لواءهم فى هذه القلعة أبو
الدائن ، لا أبو هريرة كما يخيل للبعض . انما أبو هريرة شخصية رئيسية
فى هذه الاحاديث التى لا يروى منها الا أربعة فقط . بينما الاحاديث الباقية
وعدها ثمانية عشر قد حمل المؤلف مسؤولية القائها على رجل من الانمار ،
وربحانة ، وأبى سعد ، ومعين بن سليمان ، وأخيه حرب ، وأبى عبيدة ،
وثابت القيسى ، والصعلوك كهلان ، وهشام بن حارثة ، وأبى اسحاق عمرو
بن زيادة السعدى ، ومكين بن قيمة السعدى ، وابن سلمة السعدى ، وهشام
بن أبى صفرة الهذلى ، وظلمة الهذلية أخيرا .

ولم يذكر محمود السعدى كلب أبى هريرة ولا بغياء ولا عصاء ! فهل كانت
جميعا من الرواة أم من الشخصيات ؟ كشأن البغل فى مسرحية « السد » ،
وكشأن ينبوع الماء « سلهوى » فى « مولد النسيان » ... ! بل اكتفى بالإشارة
العابرة الى أن ثمة ستة رواة أو محدثين هم من خاصة أبى هريرة ورفاقه فى
الحياة والترحال والموت ... نذكر من بينهم على الأقل أبا الدائن بائع الشموع ،
وثابت القيسى ...

ولعل القارىء يجد معنى نكهة التقاليد الدينية الاسلامية وستنهما فى أسماء
هؤلاء الرواة أو المحدثين ، وطعما لذيذا خفيفا من كتب الفتوحات واحاديث

الغزوات من خلال أوصاف الطبيعة وقساوة الرجال ونضالهم ، وغرفا كبيرا من كتب السير والايام والشعر والانساب التى يعج بها كتاب الاغانى لأبى فرج الاصبهاني .

وانى أحسب ان الحديث بوصفه نوعا أدبيا قائما بذاته قد نجم اول ما نجم عن الاحاديث الدينية ، ومحاكاة لها خاصة سلاسل رواياتها ومحدثيها ، مع تجريد كل صبغة قدسية او دينية عنها . كما اتبعت الاحاديث الادبية نهج الاحاديث التاريخية التى دونت الاحداث الاسلامية الجسام . ومن يطالع « فتوح البلدان » للبلاذرى وكتاب « الاصنام » لابن الكلبي والكتب الادبية العربية الكبرى يلاحظ سلاسل الرواة والمحدثين والاخباريين من امثال أبى عبيدة والاصمعي وحمام الراوية وخلف الاحمر والعتابي ممن كانوا يعدون ثقات فى رواية الاحاديث وتناقلها فى زمنهم .

فلقد نسج محمود المسعدى على منوالهم رواية كتابه ومحدثيه ، بعد ان نسج احاديثه كلها على منوال الاحاديث الادبية القديمة ، بالاضافة الى انه اضى روحا دينية على جوانب من كتابه وعلى أسماء بعض من شخصيات . كهذه العصا التى يحملها أبو هريرة فى ترأله كأنها عصا بعض ابناء بنى اسرائيل أو كأنها درة عمر أو كأنها أيضا عصا الكهان والابدال والحكماء . وكهؤلاء الخاصة الذين يلتفون حول أبى هريرة كالحواريين ، وكهذه الشخصية الغريبة الاطوار التى لها اسم يطابق اسم الصحابى الشهير من جهة واسم الشيخ النحوى من جهة ثانية .

فجميع هذه العوامل جعلتنا نصدق هذه الاحاديث ، ونثق برواية محدثيها ، لا سيما بعد ان لاحظنا ان سلاسلهم محكمة التماسك فيما بينها لا بواسطة العننة - الا قليلا - بل بتلقى الاحاديث فى نقاط معينة ، وتلاحمها فى مواضع متتابعة ، وترباطها وتجاوبها من أول الكتاب الى آخره .

والحديث لدى محمود المسعدى ، انما هو عنصر أو لبنة لتأليف هذا الكتاب الذى لا نشك لحظة واحدة فى نفعه « رواية » بل هى رواية من أحدث طراز ، وأجد نوع ، وأطرف منهج ! فهى رواية متحررة تاق الى صنعها كثير من الكتاب الغربيين فى اوائل القرن الحاضر ، ولم يفلح فيها الا قلة نبغاء لا تتجاوز عددهم اصابع اليد الواحدة (كمرسيل بروك) (وكافكا) وموزيل وجويس

لقد أعلن لورنس دوريل الكاتب الانكليزي مؤلف « رباعية الاسكندرية » الشهيرة « اني اريد ان اكتب كتابا يعلم ! » ... فيها هو محمود المسعدى يكتب كتابا يتحدث ! بكل حرية ، وبكل خيال جامع ، وبكل باع !

فهل يحتاجنا محمود المسعدى ويقول انه ليس بطريف ؟!

والسؤال الذى يلح على الى حد الآن هو :

كيف صار « الحديث » هذا النوع الادبى العربى ، القديم ، الفارق فى القدم ، عتصرا فعلا جماليا فى تأليف رواية من أحدث طراز ؟ هل طابق بين « الحديث » وبين التقطيع السينمائى ؟ عمدا ؟ أو عفوا ؟ هل طابق بين « الحديث » وبين جزئية اللوحة كما صممها « موندريان » ؟ عمدا أو عفوا ؟
الاجابة عن هذا السؤال لا تكون صحيحة الا بدراسة شخصية أبى هريرة !

* * *

منابع الخيال النفسى

إن الذى يعتمد الى كتابة الاحاديث ، انما يريد أن يقول للناس « شيئا » هاما ، ويحب فى قرارة نفسه أن يمتنوا به أو يصدقوه ... كشأن محمود المسعدى الذى التمس من القارىء أن يلج هذا الكتاب بأمره الباطن ، لانه فى حاجة الى من يردد صداه ، ويحمس ناره ، ويدكى أواره ، ولأن أبى هريرة يريد الانتساب الى من يدرك أغواره ويتفهم تجاربه ...

فمن هو هذا أبو هريرة ؟ وما هى شخصيته ؟ وماذا يريد منا ؟ وإلى أى أمر يجنح وينزع ؟ هل له غاية ؟ ما هو وطنه ؟ من هم خاصته ؟ كيف يعيش ؟ بما يؤمن ؟ وبما يكفر ؟ هل له أشياع وأشياخ ؟ وعلام يجب البلاد من أقصاها الى أقصاها ؟ ولماذا توفى فى الاربعين ؟ وفى أى عصر وجد ؟

نستخلص من هذا الكتاب أن المؤلف قد جعل عصر أبى هريرة ينتسب الى الفترة التاريخية الرابطة بين أواخر الجاهلية وصدر الاسلام فيما اعتقد وهى فترة غير مضبوطة . بل هى تتأرجح بين عهدين فصلهما الفتح الاسلامى . فكان محمود المسعدى لم يكثر بهذا القطع التاريخى ، وعذره انه فى ميدان القصص والخيال ليكون غير ملزم بتقديم شخصيات حقيقية . فجاءت الفترة

مخضومة ، بل متداخلة وملتبسة في أكثر من حديث . فلا هي جاهلية كل الجاهلية ، ولا هي اسلامية كل الاسلام . بل هي جاهلية مع بعض الاسلام ، وهو اسلام مشوب بجاهلية بدليل ان الشخصيات فيهم من هو مسلم ، وفيهم من هو جاهلي ، وفيهم من هو بين بين ، وفيهم من هو مسيحي ارتد . وكان هذه الفترة تتسم بتداخل من حيث القيم . فلا هو تخويل كل التخويل ، ولا هو تحريم كل التحريم ، بل في كثير من الاحاديث هو تخويل لكل ما هو بحريم . وكان هذه الفترة فقدت بعضا من القيم الاسلامية والسنن المحمدية ارتدت ورجعت الى عصبيتها وفرديتها ، واياها ، واصنافها ومن بينها اساف ونائلة !..

ومن نفس هذا الكتاب افراد ينتمون الى قبائل عربية قديمة كالانمار ، وعذيل . وانمار كما هو معلوم هو أخو ربيعة ومضر واياهم أجداد العرب وأبوه نزار من بنى عدنان . ومن بينهم صعلوك اسمه كهلان . وأغلبهم بدو رحل ينتقلون من نجد الى تهامة ، ومن الاحساء الى الحجاز ، ومن العمان الى بادية الشام ، كالقبائل العربية التي كانت ترحل رحلتى الشتاء والصيف ، قصد الاتجار . لكنهم يفرون على بعضهم البعض ، ويتحاربون ، ويتقاتلون ، ويأكل بعضهم بعضا ماديا ومعنويا . وأقل هؤلاء الناس يسكن المدن كابي المدائن بائع الشموع وريحانة التي كانت تشغل قبعة في خمارة جوار مكة وعلى طريق المدينة . وهي حانوت معزول عن السكن لا يرتاده الا السكاري ، وقطاع الطريق . ومن بين هؤلاء أيضا ناس معتصمون بأعلى الجبل أو متحصنون في الاديرة .

هم ناس ضياع ، صعاليك ، هامشيون لا يعرفون لانفسهم غايات . فهم يحورون في متاهة حول ابي هريرة معلمهم وسيدهم . كأنهم مساجين قد عقلت أرجلهم الى الصخر ، لكنهم لا يرون العقال ولا يلحظون الصخر . يحسبون أنهم أحرار . وما هم أحرار ، بل هم يخبطون في كل شيء ! لانهم ناس أرضيون ، ملتصقون بأديم الارض ، راضون بمسكها ، كالنمل ، يتسكعون على أطراف الدنيا وجنات الوجود ، يحتقرهم أبو هريرة ويزدريهم لانهم لا يعرفون السماء .

وفيهم أبو هريرة . لكن ليس من طينتهم . ذلك انه رجل غريب . فهو متصوف بدون توحيد . وهو زاهد بدون تعبد وتهجد . وهو ناسك بدون

صومعة . له من احوال التصوف ما لائمه كالحلاج ، وابن سبعين ، والجنيد ، والتستري ، وابن الفارض وبعض العناوين التي توج بها محمود المسعدي احاديث ابي هريرة هي بمثابة علامات على طريق هذه الشخصية المتقلبة الجوانب ، العجيبة الاطوار ، الغريبة ، هذه العناوين كأنها دلالات عن تلك الاحوال الصوفية المشهورة ، وإشارات الى مختلف مراحل حياة ابي هريرة...

قال أبو حيان التوحيدى فى كتاب « الاشارات الالهية » : « ان الغريب من فى غربته غريب ! » وصاحبنا أبو هريرة غريب عن نفسه ، فلا هو يدركها ولا هى تسعفه . وهو غريب عن وطنه وسكنه ، فلا يستقر حتى يتناول عصاه ، ويضرب بها دروب الدنيا ، ويتبعه كلبه ،... وهو غريب عن حبيبيه ربحانة وظلمة فما ان انتشلهما مما كانا فيه من الضياع والاستلاب حتى فارقهما ، وهو غريب عن عائلته فقد نشز عن زوجته ونفر منها ، وله بنت جامعا ، وهو غريب عن اصدقائه ورفقائه وخاصته ، فلا يكاد يعرف أحد منهم ابا هريرة على حقيقته . وهو غريب فى عشرته ، فى مأكله ، فى مشربه ، فى منادمته ، فى موافقه ، فى آرائه ، فى وحدته ، فى كلامه اذ هو مبهم المعنى ، مغلق القصد حتى يقول محمود المسعدي كان به مسا من الجنون بعد أن عبت بغربته الصبيان !

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولشد ما أسست حضور ابي هريرة فى هذا الكتاب ، من أوله الى آخره ، بين كل سطر وسطر ، وعند منعطف كل فقرة ، وعقب كل صفحة ، وخلال كل حديث . فهو حاضر حضورا مسرحيا ، وحضورا معنويا ، ووجوديا ... وهو يكاد يبرز للعيان !

فقليلة هى الشخصيات القصصية والروائية والمسرحية التى تغرس وجودها فى حافظه القارى ، فى تاريخ الادب التونسي المعاصر ، لا أذكر الآن منها الا ثلاثا أو أربعاً من بينها حيوانات ... فهذه الكثافة التى يتمتع بها أبو هريرة دون غيره من رواة الكتاب ومحدثيه جعلت منه شخصية تتميز على بقية الشخصيات الاخرى حتى القريبة منه .

فأبو هريرة هو من طين ، من صلصال ، من حما مسنون ، مصهود بالنار . عيناه من النار . وله كلب لسانه كقطعة من نار . وصاحبته الاولى ربحانة

غريبة الحسن ، كان في عينيها نارا وبقيها ماء حميما . وهي آخرة قومها . وقد اكلتهم النار جميعا . وقد كانوا من ولد البراء بن كسيان سكنوا العنان ثم خرجوا بعد أن أصابت بيوتهم نار ذهبت بأكثرهم .

ولأبي هريرة صديق اسمه أبو المدائن له دكان يبيع فيه الشمع . كما كانت لأبي هريرة ضيعتان احترقت الأولى وصارت كجهنم .

وأبو هريرة سكير ، عرييد ، مدمن على السكر والشراب ، والغناء ، والرقص . ففي ليلة عرف فيها ريحانة ، ثمل وسكر فتناول زقا مليئا بالخمر ، وصبه على ريحانة . فظهرت له حمراء كالنار .

فالنار هي أحد المنايع الخيالية عند محمود السعدى في هذا الكتاب ، بل هي أهم منبع خيالى بالإضافة الى عنصرى الارض والماء اللذين نجدهما مبثوثين فى اغنب الاوصاف والتشاييه ، والاستعارات والمجازات . بل كان النار تعمل عملها فى الكتاب ، كأنها المحور الأساسى الذى يتفرع عنه النور والظلمة ، والايمان والكفر ، والصدق والكذب ، والعشرة والوحدة ، والحرية والعبودية ، الجوهر والعرض ، وحتى الالوان : الاحمر والاسود الترابى ، والاصفر والازرق البحرى .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فليس من الصدق فى شيء اذا رأينا صاحبة أبى هريرة تدعى «طلعة» ، واذا لاحظنا ان كل ما يحيط به فى أغلب الاحيان أحمر اللون ، أو أصفر . وليس من الغريب كذلك . فى شيء اذا شاهدناه مصلحا متمردا يدعو الى القيام على أمير مستبد ويستنهض الهمم من خمولها ليعلمتها ثورة حمراء

لكن ، عجيب أمر هذه النار ! فما إن تتأجج لحظة وتصير كالخريق الذى يأتى على كل شيء حتى تخبو فجأة . فكانها نار تبين ، وعضاه ، وأشواك ، وحسك ، وساقط الحشب والخطب . ليست بنار دائمة اللهب ، متواصلة الاوار ، صامدة الجمر . بل هي مضطربة البيت والايوان . بل لا ايوان لها !

فعلى الصعيد الجنسى وخصوصا الفحولة الجنسية ، نلقى أبا هريرة منحرف الجنس . فلئن صاحب القيان والراقصات والغواني وعاشرهن ردحا من الزمن رغبة فى متعة الفرج ، واشباع غلمته ، فهو يجذب المخنثين ، ويود السحاق ! فهل هذا يعد من باب تخويل التحريم أم باب التناقض المفزع فى سلوكه ؟

وفى المستوى المذهبي ، فلقد كان أبو هريرة يدعو الى مذهب غريب ، بلغة مبهمه ! فعاشر الناس وعاشروه . وألقى فيهم الكلم الطيب ! لكن ، من كان يفهمه ؟ كان ثمة انشطار بينه وبينهم ، وقطيعه مرة . فمن ذلك نجح سوء التفاهم ، وقام النزاع ، فرماهم وازدراهم وتقياهم ! لكنه أخفق وخاب فى مذهبه !

فهل معنى ذلك ان أبا هريرة رجل نرجس ، مفرط الانانية ، لا يرى على مرآة الدهر الا قسما وجها ، فيتعشقه . ام انه كان يعانى الوحدة ، وحدة الذات المطلقة ؟

وهل معنى ذلك ثانيا انه لا يرى الا رأيه لانه يعتقد انه رائد ، وفاتح ، وزعيم فى الراى وإمام جماعة من الاصفياء يلقنهم نقاش اللوح المحفوظ ؟



هذه بعض الخواطر التى جالت فى فكرى بعد قراءة « حدث أبو هريرة قال ... » وهى ليست بدراسة علمية أكاديمية . إذ فيها نصيب من الخيال وافر سعت به الى معرفة محمود المسعدى مؤلف هذا الكتاب وهو - كما قلت آنفا - الحلقة الاولى فى سلسلة حياته الادبية .

والأحظ فى الحتام انه ليس من الضرورة أن يتحمل محمود المسعدى أفكار أبى هريرة ولا أن أفهم أنا أبا هريرة كما يراه مبتكره .

عز الدين المدنى

المدرسة

مدرستنا جميلة . واجمل منها نظارتها الوردية ، التي تضعها بين الحين والآخر . وهي نظارة عجيبة ، تتلون في كل لحظة ، وتأخذ أشكالا متعددة . ولا تبدو لنا ملامح وجهها الحقيقية الا حين تخلع هذه النظارة فنتعرف على ما فيها من عيوب ومحاسن .

مدرستنا غريبة كل الغرابة ، تتغير نظراتها الينا تغييرا مستمرا ، تارة نراها هادئة دافئة ، وكأنها الأم الحنون تعني بأبنائها ، ويهبها مستقبلهم ، وطورا تظهر لنا بمظهر المخيف ، فثبتت في قلوبنا الرعب والجزع ، ونتخيلها ماردا جبارا ، يثير فينا الاضطراب ويشوش أحاسيسنا ، فننكمش وتقلص فينا الرغبة في التحصيل .

كنا خليطا من الناس والاجناس على مختلف المستويات والاعمار : منا الشباب ، ومنا المراهقون ومنا الكهول والرضع ، فترانا نتقدم مع السنين بسرعة مذهلة ، فنكبر ونشرب ، ويولد فينا من يولد ، ويموت منا من يموت لكن الدرس متواصل من مدرستنا التي تحتفظ بشبابها الدائم ، ونضرتها انما كانت فهي كالشجرة المزهرة في ربيع أبدى لا يصيبه الذبول .

جلست على مقعد الدراسة أمامها ، وكأنني أعرفها معرفة جيدة ترجع بي الى نعومة أظفاري ، ويبدو لي أحيانا أنها تشبه أمي ، بل انها أمي فعلا . وأتساءل : كيف أكبر ، وأسير في درب الزمن من عقد لعقد وهي على ما هي عليه من رونق وتالق ، كانت بجانب زميلتي الصغيرة ، وهي فتاة لم تتجاوز الخامسة عشر ، عليها براءة الاطفال ، وسذاجة الاحداث ، ومسحة من النقاوة والطهارة ، التفت اليها وقلت :

- لكاننى أعرف هذه المدرسة من قبل ! لست أدري أين رأيتها ؟!

- وأنا كذلك ؟

- احترزى منها ..

- لماذا ؟؟

- فى نظراتها رهبة .

- وحنان أيضا ...

وانقطعت وشوشتنا بوقوف المدرسة أمام السبورة واعلانها بصوت عال
عن بداية الدرس . قالت :

- « انتبهوا الى جيدا .. المادة التى سندرسها تسمى « مادة الحياة » سألنى
محاضرتى ، ولا يقاطعنى أحد منكم فهم أم لم يفهم . ولكن الحق فى الاستفسار
عما تريدون فى نهاية الحصة ، أما اذا خطر لى أن أختبر أحدكم فى أمر ما
فليقف بكل احترام ، ويجب عما يوجه اليه من أسئلة ، اجابة محدودة ، لا
زيادة ولا نقصان . مفهوم ؟ »

أرسلت نظرات سريعة فاحصة عن يمينى وعن شىمالى فأبصرت الكل ينصت
باعتناء بالغ الى ما تقوله هذه المرأة ، وكانهم يؤمنون على كل كلمة منها . أما
أنا فقد دهشت لهذه المادة الجديدة « مادة الحياة » ! فى أى برنامج ادرجت ،
ومتى كان ذلك وهممت بالاستفسار عما جال بذهنى ولكن المدرسة كانت قد
شرعت فى المحاضرة وطلبت عدم مقاطعتها .. استسلمت لهذا الوضع
المفروض على بشدة وقسوة . وحاولت أن استوعب كل جملة تتفوه بها وكل
معنى تعبر عنه . كانت تتحدث عن نفسها ، وعن سيرتها الذاتية ، ومن أين
أصلها وفصلها والجو الذى عاشت فيه وتعيشه منذ آلاف السنين ، والمحن التى
مرت بها والحروب التى حدثت من نشاطها ، والتناقضات التى واجهتها . ثم
انتقلت الى مغامراتها العاطفية ومن أحببت ومن كرهت .. تركتها تتحدث
ورجعت الى نفسى أحاورها : أى درس فى (الحياة) هذا الذى يعتمد الاحوال
الخاصة ، والمشاكل الذاتية لهذه المدرسة العجيبة ؟! ماذا يهمنا من عشاقها
وجولاتها الغرامية أو من آلامها وأتراحها ؟! آه ! لو كانت لى القدرة على
الاعتراض .. لوقفت فى وجهها وتصديت لهذا السخف الذى تذيعه فيها

زاعمة أنه درس في معرفة الحياة ولكن سأعترض يوما ما ، وسأقول ، وأعبر عن رأيي بكل حرية وأتحدثا .. نعم أتحدثا ، وليهنا هؤلاء الاموات في سباتهم العميق ، ولينعم هؤلاء البكم بصمتهم المقيت .

وفجأة رن في أذني صوت كالرعد ، أفاقني من شرودي ، فارتبكت والتفت ناحيته ، وإذا بي أمامها وجها لوجه ورأيت عليها نظارة قاتمة اللون . حافظت بكل ما أوتيت من جهد على رباطة جأشي وشدت أعصابي بقوة وعاد صوتها الى أذني :

– أنت .. ماذا كنت أقول ؟.. أجب ...

وقفت باحترام وآنست في نفسي بوادر شجاعة خفية فقلت :

– كنت تتحدثين عن الحياة – أو بالأحرى – عن سيرتك الفذة ، وعن جهادك المشرف ، وخوضك قتالا عنيفا استطعت من خلاله الانتصار على كل أعدائك .. كنت تتحدثين عن مقدرتك الفارقة في استهواء الرجال والتحكم في مصائرهم ، وإغوائهم ، وإغرائهم بكل ما لديك من وسائل .. كنت ...

ARCHIVE

– كفى .. كفى ، أحسنت !!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

انتقلت الى مكان آخر من القاعة الفسيحة ، فتنفست الصعداء . ولكن شعور الندم اجتاح كياني لانني كذبت على نفسي . وجاملت هذه المدرسة المتعنتة ، وأرضيت كبرياءها وغرورها ، ولكن لا أستطيع أن أحدد أكان ذلك هو الذي يجب قوله مجارة للموقف أم كان على أن أقف في وجهها كما سبق أن فكرت من قبل ؟..

عدت مرة أخرى أجول بنظراتي بين جموع المتلقيين . وخيل الى أن المدرسة ابتعدت عن مكاني كثيرا حتى لكأنني أراها بمقدار طفلة لا تتجاوز الرابعة من عمرها ، ولكن صوتها لم يضعف في أذني ، بل كان جليا واضحا كل الوضوح ، وسمعت في هذه الاثناء صياح رضيع : « إغا .. إغا .. إغا .. » . سألت المدرسة هذه المرة أحدا غيري :

– أنت .. هناك قرب النافذة .. ماذا تضيف على ما قاله التلميذ السابق ؟

أجاب المسؤول :

– إنه بندائه : « إغا .. إغا .. » يطلب الحياة ، لأنه وهو الذى ينطق بطريقة
أبلغ من طرقنا – نحن الكبار – يعتبر الحياة « إغراء » لأنها قد أغرته بالنزول
إليها ومعرفة عالمها المعقد .

قالت المدرسة :

– نعم .. وبالتالى ماذا يطلب ؟...

لم يستطع الرجل اتمام الجواب . وظل ساكنا والمدرسة تنتظر . أما بقية
التلاميذ والطلاب فكانوا فى سكون شامل ، أعضاءهم هامة ، ونظراتهم ذابلة
وكانهم جزء من المقاعد التى يجلسون عليها ، حتى زميلتى الجالسة بجانبى
كانت تعبت بمرآة صغيرة ومروءة أعدته لاكتحال عينيها ، والرضيع ما انفك
يردد : « إغا .. إغا .. إغا .. » أما أنا فقد رفعت ذراعى طالبا الاذن لى بالجواب .
ولكن المدرسة اقتربت منى وعى تنظر فى عيني ببرودة الثلج دون أن تعطيني
الكلمة .. فنفخت من الفيظ ، وطالبت بحق فى الكلام ولكن المرأة لم تمكنى
من ذلك فقامت متحديا تجاهلها ، وأجبت :

– انه حين يطلب الحياة يطلب المرأة . فالمرأة والحياة بالنسبة لهذا الرضيع
شئ واحد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

غضبت المدرسة ، وانتفش شعرها ، وأحمر وجهها ، واتسعت عيناها اذ
كانت نظارتها آنذاك على مكتبها فاتجهت اليها وليستها . ثم صرخت فى
مشيرة الى الباب :

– تفضل ...

قامت صارخا بدورى وقد أظلمت الدنيا أمام عيني :

– سأفضل ، ولكن بعد أن أقول لك : انت غبية ، غبية ، غبية وأنانية
ومصابة بعقدة لن تتخلصى منها الا حينما تلقين بنظارتك هذه وتحطمينها ..
الى اللقاء .

خرجت من القاعة وشعور بالارتياح يغمرنى لأننى قلت ما قلت ولست
أدرى هل أندم يوما ما على الدرس أم سأواجه هذه المدرسة فيمابقى لى من
عمر ، وألتقى بها مرة أخرى كما التقيت بها من قبل وكما التقيت بها منذ
بداية الحصة .

ومرت أيام وشهور عشتها في فراغ وضياع أبحث عن نفسي في هذا الوجود المركب ، وأبحث عن طريقى الذى ضاع منى ذات مرة . وآلمنى أن أهيش فى حرية فضفاضة لا بداية لها ولا نهاية ، هذه الحرية التى كنت أبحث عنها فى شوق ولهفة ، ها أنى اليوم أواجهها وجها لوجه فهل انا سعيد بها ؟! أيسر نفسى التى كانت بين جنبى ؟ وكيف تبخرت كعمود من دخان ؟!

حدث لى كل ذلك وأنا أبحث بكل عناء عن أساس ارتكز إليه ، وحدود أقف عندها . وكنت أتساءل فى كل لحظة : أين أنا ؟ وإلى أى مدى تقودنى خطواتى ؟ وتذكرت مدرستى الجميلة أو مدرستى المتعجرفة . وقلت : كان على أن أبقى فى درسها ، كان على أن احتفظ بهدوئى ووزانتى أمامها ، كان على أن أمتثل لأوامرها . على الأقل كنت فى قاعة منظمة ، أجلس بين أناس من جلدتى ، كنت بين أهلى وأحبابى . أما الآن فانا غريب لا أجد حتى نفسى لتحدثنى وأحدثها ما أبغض الوحدة ما أفزع التيه والضياع .

ما زالت أقدامى تحملنى الى بعيد بعيد . كنت أضرب فى صحراء قاحلة تعبت رجلاى من مشقة السير ، كنت عيناى من النظر الى كثبان الرمال الصفراء . لم أسمع ولو رقيقة عصفور واحد ، أو حتى صياح حيوان متوحش أو غير متوحش وإنما كنت لا أنصت إلا لفجيج متواصل ، ورياح عاوية . جف حلقى ، وطمعت الى الماء القراح أو حتى الآسن ، أين الماء ؟! الماء ؟! الماء ؟! تركته عند المدرسة ، إنها الوحيدة التى تملك أعذب ماء وأطيبه . آه منى ومن مدرستى !.. فى لمح البصر كنت لا شىء وكانت هى كل شىء . ليتنى أراها وأتحدث إليها ، ولتفعل بى بعد ذلك ما تريد لقد قابلتها فيما سبق من عمرى مرات ومرات ، فلا شك أننى ملاقيها من جديد ولكن متى ؟! لا أعلم . على كل هناك أمل يعيش فى أعماقى ولا ينتهى .

وإذ أنا على هذه الحال ، أبصرت خضرة من بعيد ، فاستفاق الدم فى شرايينى ، ونشطت خلاياى ، وتحركت قدماى بأكثر سرعة .. سأجد على الأقل شجرة أستظل تحتها وأحدثها ، وربما أجد أناسا تحبى فى لمساتهم البقية الباقية من وجودى .

ومر وقت تخيلته أحقابا من الأبدية حتى دخلت العمران من جديد ، فوجدت كل الاحياء هناك فى شغل شاغل وكأنهم لم يشعروا بحلولى بينهم وقادتنى

خطواتى الى مقهى صغير يفص بالرواد ، ولحلت بينهم مدرستى على عهدي بها
كما كانت جميلة وانيقة فانتجعت اليها بحذر وما ان تطلعت فى وجهى حتى
دعتنى فى نعمة تشبه الرجاء :

- أنت ... اهلا بك .. تفضل ، اجلس .. كم أنا سعيدة بلقائك !..

جلست الى مائدتها . وامتدت يدي الى كأس كان أمامها فتناولتها وشربت
منها جرعات ما ذقت أطيب منها من قبل ، فكانها العسل المصفى !.. جرت فى
عروقي نشوة الحياة ، وسمعتها تسألنى عن أحوالى :

- ها !.. ما هى أخبارك ؟.. أين أنت ؟..

- ولدت من جديد .

سكت برهة ثم أضفت :

- أنت جميلة !.. أنت فاتنة !.. أنت كل شيء فى هذا الوجود !

- أبهذه السرعة تغيرت !؟

- وأكثر مما تتصورين .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- المهم ماذا تشرب ؟

- أشرب .. أشرب من عينيك لو سمحت .

- لا .. ليس هذا وقت الغزل .. أرجوك .

- انه ليس غزلا .. انها الحقيقة ، اريد ان اشرب من عينيك لتكون لى
نظراتك للاشياء .

- هذا صعب .. ما اظنك تستطيع ؟

- لعلك تساعدنى ؟

- أساعدك على شرط أن تقبلنى كما أنا .

- قبلت الشرط .

- اذن ملتقانا فى قاعة الدرس .

– الدرس !!؟

قاطعتنى بهدوء جميل ونظراتها تصهرنى وتحيلنى خلقا آخر خاليا من الشوائب .

– لا تهرب من قاعة الدرس يا عزيزى ، إنها المكان المناسب الذى تجد فيه ما ترغب . أو تظن أنك فى هذا المقهى الفوضوى مثلا تستطيع استيعاب شئ، ولا حتى تتمكن من شرب نظراتى على حد قولك . انك ستكتشف فى قاعة الدرس الوانا جديدة من المتعة ما كنت لتحصل عليها خارج حدود القاعة .

كنت أستمع لوقع حديثها اللطيف الظريف فى نفسى وأتساءل فى سرى :
الا تكون تخدعنى بهذا الكلام المعسول ؟ وربما خدعت غيرى بمثل هذا اللقاء الذى أظنه صدفة ولا أستبعد أن تكون قد رتبته واستعدت له من قبل .
وسمعت صوتها ثانية وكأنه آتيا من بعيد بعيد :

– ماذا قلت ؟ أمقتنع أنت بوجهة نظرى ؟ سنتأتى الى غدا ؟

– لست أدرى . على كل أشعر أننى لا أستطيع الاستغناء عنك .. إنك حياتى .. ووجودى .. ولكن ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– ولكن ماذا ؟

– لا شئ .

– إذن اعتبر هذا وعدا منك لحضور درسى من جديد ؟

أومات براسى دون أن أنطق بكلمة ، فهبت بخفة من مجلسها وانسحبت من أمامى وهى تهمس :

– الى اللقاء يا عزيزى .. وحياتى ايضا .

بقيت شارد اللب ، افكر فى كلامها وأزن مقدار صدقها فيما ادعته .. قد تكون كاذبة تغريبنى بالوقوع فى شباكها مرة ثانية . وقد تكون صادقة فأجد فيها فعلا حياتى وأنعم بها . الشئ الوحيد الذى لا أنكره هو أننى متعلق بها لا أقدر على الاستغناء عنها مهما كان الثمن .

عبد العزيز الفرشيشى

الأرواح فى حفل تنكرى

تأليف : بيري لا قر كفيست

تعريب : منجى السردادى

(3)

معربة عن السويدية مباشرة (*)

تزوجا فى بداية الربيع . وفى نفس الوقت استقال من عمله بالشركة ، فلم يعد هناك ما يربطه بمسقط رأسه . مرت حفلة الزواج بكل عدو ، ولم يحضرها سوى أخيه ثم أمها المسنة ، وفى المساء سافرا .

سافرا الى الخارج ، بعيدا هما الاثنان . اندفع القطار فى صخب طوال الليل ، استمعا ، احتضنا .. - وحيدان ! لا شيء آخر يعيشان من أجله سوى نفسيهما ، لا شيء فى العالم سواهما ، سوى حبهما !.. لم يستطع أحدهما تصور ذلك بجد .. أن يعيشا فقط لغيرهما ، كلاهما للآخر ! حياة كلها معا ! مهاداة للحبيب ، مكرسة للحب بتمامها وكمالها ، تماما يحسن أن تكون ، كما نحلم بها ، كما نشواق فى أعماقنا أن تكون ، شوقنا لتحقيق ما تصبو اليه قلوبنا ..

لم يلحظا من المناظر الطبيعية خارج النافذة الا القليل رغم أنهما خفضا من قوة النور الكهربائى فى مقصورتهم . لم يلحظا غير نجوم شاحبة ، ضائعة فى الزجاج الذى يقطر رطوبة . كان ذلك كالحلم ، حلم نصف يقظة ، حياتهما التى بدأت ، مملوءة بالأسرار ... انقادا سويا الى البعد فى الليل ... بعيدا ، جدا

(*) انظر العددین (35 - 38) من مجلة « قصص » .

الى بلد غريب ، الى أناس مجهولين لديهما ، ليختبئنا بسعادتهما . الى الجمال ،
سافرا عبر مدن كثيرة ، خلفاها بعيدا . نزلا في أماكن كان كل منهما قد
زارها بمفرده لكنها بدا لهما الآن في سعادتهما كأنها غير معروفة ، تجولا بين
حشد من أناس لم يسبق لهما بهم معرفة ، وبدا صوتاهما أرق من أصوات
الآخرين . واصلا سفرهما .

تلاشت جبال الالب خلفهما وبدت البلاد لهما وكأنها عائمة في شمس لا
تقيب ، لم يكن الجو مشمساً ولا ممائلاً لجماله الذي تركاه عليه في وطنهما .
لكن هناك شئ دائم ، شئ ، كان كذلك ، ارتقى تحت السماء العارية متفتحا
وعارياً ، كأنه بلد النهار ، بدا لهما السفح مزدانا بحقل كرومه المعلقة في
عناقيد بين الأشجار على مدى الطرق ، عشرات الاميال من العروش المزهرة ،
وكانها في ربيع خالد ، وعندما ظهرت الجبال من جديد ، بانت مشمسة جليلة ،
مستريحة في الضياء ، شمخت أكثر فأكثر بقري ومدن قديمة بنيت على
أعاليها ، مرتفعة وكانها منتشية بقربها من السماء ، في نشوة سعيدة بالحياة ،
وكان الأرض نفسها رفعت من نفسها في حنو ورفعت حياتها بهدايا سعيدة
نحو العلو ، كانت نقطة ، حقيقية ، كل شئ قريب ، لقد كانت بلد النهار .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

اجتازا المرتفعات وعادا من جديد الى السهول الريفية ، وتنفس الريف
الصعداء ، وبدا هادئا ، خاشعا ، جليلا في أفكاره ، وفي منتهى الطمأنينة .
وفتحت نفسها كالروح ، عارية ونظيفة ... تسكانا .. تسكانا .. بأعناقها
الحديثة النمو على القلال ، المعلقة بسيقانها السوداء وكانها متفحمة .
ومنحدراتها الرمادية بزياتينها ذات الحضرة الهادئة الانجيلية ، مسنة ، شاحبة
من شمس آلاف السنين ، الزيتون أم الأشجار ، التي شابت في خدمة
الأرض ، بدت أشجار السرو من بعيد شامخة ، منعزلة ، وكانها في أماكن
مقدسة . وأشجار الصنوبر رؤوسها عالية ، عائمة كأنها أرواح الفضاء .
حياة ، موت ، موت وحياة .

تسكانا ...

بدت لهما في سعادتهما اللانهائية أكثر جمالا مما اعتقدا .. ذات وقار
شديد ، تكاد تكون حالكة في الحقيقة ، لكن جمالها كان رغم ذلك أخذا جدا

حتى انه لا يثقل على الانسان تحمله . اخذا تحررا . والجمال يبدو دائما محررا ، فى النهاية لا شئ الا أنه يحرق ...

نعم ، كانا كالمتشيعين من البهجة ، خصوصا عندما وصلا فلورانس ، بهجة لوجودهما هناك ! تجولا فى نشوة من السعادة التى شعرا بها فى نفس الوقت هادئة الى حد الغرابة ، كانها عبادة .. مشيا فى الطريق الضيقة بين القصور القابعة هناك قوية مهيبة ، تقرب من الكنيية ، وقرأ على لوحات من المرمر فى زوايا الطرقات نتفا من - دانتي - ...
دانتي ، بياتريس ...

واقتربا وضم كلاهما الآخر . ومشيا على ضفة « الارنو » صامتين ، خاشعين . باعين متألقة ...

فيما نookا .. - حياة جديدة بالحب ...

نعم ، مثلما كانت لهما ...

الى أن نظر كل منهما للآخر ... وأدركا أنهما فكرتا فى نفس الشئ ، ابتسما ... انزلت أصابع كليهما بين أصابع الآخر مداعبة يد الحبيب ، فى خفة تكاد لا تلمس ، وأغار كلاهما الآخر <http://Archive.org>

كانا داخل الكنائس حيث يوجد الكثير مما يرى ويمتع ، ووقفا معا تحت الاقواس الظليلة فى خشوع ، رأيا الفن ، وجربا كل ما كان جيدا ورائعا فى ما خلقه روح الانسان كاملا ولكل الأزمنة . وجدا طريقهما الى الأماكن المقدسة المنعزلة ، الى كنوز لا تدرك بين أزقة وممرات ضيقة حيث جلس الناس عند الابواب المفتوحة ليأكلوا خبزهم ، والمجامر تألقت فى الداخل فى الظلمة المغبشة ، عاشا وكأنهما فى نشوة دائمة .

بعد أيام انتقلا الى « فيسولا » على المنحدر المؤدى الى الوادى ، الى نهر « الأرنو » ليستريحا تحت الشمس بين الورود . على الجدران تسلقت عروش الوشارية والياسمين البرى زاخرة من ثروة الحدائق التى لا تحصى . أما الديار فقد ظهرت مهيبة مفتوحة فى عوا الربيع ومقصوراتها مملوءة بروائح تجلب النعاس . كانت الاشياء مخدرة . شعرا بنفس الجنوب ينفخ عليهما بحرارته الشديدة المحرقة . أيام جافة جعلت الحياة تبدو شفاقة كالرجاج

والبدن دوما متحفزا في نقطة مرهفة . تجولا كل مساء في الممر المحيط بهضاب « فيسولا » وابطا عند اشجار الصنوبر في الجهة الجنوبية حيث استمرت رائحة العلك تبخر تحت الاشجار حتى بعد ما غابت الشمس وراء الجبال . وبدأت أضواء « فلورانس » تنير على مدى الوادي . حان الغسق فأسرعا في اتجاه مسكنهما قبل أن يصبح الممر مظلمًا . تحسسا طريقهما عبر الحديقة وفي الرواق ، وصعدا الى مكانهما دون أن يشعلا نورا . فتحا النافذة لنسمة الليل . واقترب احدهما للآخر في صمت . انجذبا في حبهما ، في عاطفتها مأخوذين دون كلام .

نقنقت الضفادع في الوادي ، وانطلقت الحبايح خارج المسكن في الليل ، ودخلت الغرفة فبدت كالشرارات العائمة .

شعرا بلذة ، وألذ من كل شيء ، لديهما أن يتمددا هناك في هدوء بجانب بعضهما في انتظار ، كأنهما في انتظار مقدس ، حتى يبني الحب قوس معبده ، قوس ليله المقدس فوقهما ... ضخامته لا تقدر .. أخذ الفضاء يتعمق أكثر فأكثر كلما زادا في إطالة النظر فيه . وبدت عيناها وكأنها قد امتلأت بأعجب الأعاجيب .. كان كالحقل المهيّب ، كخقل حضراء في معبد سماوى .

انحنى عليها في سعادة مرتعة لا توصف ... أشعل النور كي يراها ، كي يتمكن من رؤيتها قبل أن تجرفهما العاطفة في هيجانها إليها . تمددت هناك واضعة يديها تحت رأسها . تقاص نهداها الصغيران فكادا لا يظهران وكأنهما نهدا غلام . كانا متوترين ولا معين كأنهما حد الموسى ، ينتظران قدومه . قاومته ، لم يكن لها رغبة ، جعلته يلتجئ الى العنف .

في الخارج ظهرت تسكانا بأنجم مرتعشة فوق الهضاب ، وأضواء مثلثثة صاعدة صوبها فوق الاعالي ، حتى ان الانسان لا يمكن أن يعرف بين ما كان أرضا وما كان سماء .

جرت الايام مسرعة ، كبيرة ، صافية ، كجواهر ضاعت من يد . داعبت وهي تضيق ، وهي تنزلق . ثمينة ، لا تعوض .

أن نمثل ، نمثل بشعور واحد بالابتهاج ! شعور قوى ، ملح ، يتوهج من خلال أرواحنا وأعضائنا كنار مسيطرة بهجة بالحياة ، بالحب ، بوجودنا على أرض محبوبة ومفتوحة على مصراعها .

تحتهما بسطت فلورانس نفسها لهما كل صباح في ثرى مسرف ، مشمسة ومترامية الاطراف وفي قلبها الكاتدرائية وبرج الاجراس ، بقصورها وكنائسها ، بقببها وابراجها ، ظهر لهما كل السهل والشريط الملتوى لنهر « الارنو » عندما نظرا خارجا في منظر واحد .. في أعلى نقطة بجانب سان مينياتو استطاعا ان يكشفوا تمثال داوود لميشال انجلو ، عار وضخم ، ينظر الى البعيد كاله وثني شاب ملك ، كان منتظرا أخاذا . مشبعا وغنيا كالترتيل . وعندما تبدأ الاجراس تدق في هدوء ، صبيحة يوم الاحد ، كل اجراس فلورانس في كنائس سان لورنزو ، سنتا كرونشة ، سنتا ماريا نوفلا ، سنتسيما انونسياتا ، وأكثر منها كلها برج الاجراس بدقاته الجاية المرتفعة نحو السماء ، كانا يقفان في صمت ، مبهوئين ، مشدوهين من هذه الترنيمة الشاكرة المنبعثة في الشمس ، عبر السهل .. وحول السهل بدا الريف مظلما هيبا كأنه منصت ، أجرد كوجه ، ولا يمكن القرب منه كأنه غائص في نفسه .

لم يستطيعا أن يسحبا نفسيهما من هذا الريف الجليل الذي شد ما فتن روحيهما ، بقيا مقيمين هناك أسبوعا بعد الآخر ، لمدة أطول مما تصورا . ولم يفارقا المكان الا حينما شعرا بالحرارة تشتد واتجها صوب الجبال ، الى البحيرات في سفح الالب ، البرودة الحقيقية ناجمة عن الثلوج الدائمة . تخيلا أنهما في الشمال بين مروج من الحوذان (العشب ذو الزهر الاصفر) وأذن انفار (النبات ذو الزهر الازرق الفاتح) الا أنها أكبر وأكثر وبراقا مما اعتادا رؤيته . والعنبية (عنب الاحراج) في أطراف الغابة حيث استلقيا ورأيا القرويات وهن يقطنن الحشيش بمنجلهن في أماكن شديدة الانحدار ، والرجال يحملونه اكواما كبيرة على ظهورهم ، وكأنهم حيوانات محملة بأحمال ثقيلة . قضيا حياة صيفية طليقة وحلوة بين تلك المناظر الطبيعية العظيمة مع أناس طبيين ودودين ، سكان جبال صريحين وسليمين ، قانعين بقسمتهم البسيطة ، في أكثر الاحيان مرحين جذلين ، ما التقى بهم إنسان الا اشرفت أساريرهم ، حتى المسنين ألهمين من شيوخهم وعجائزهم الذين احدثوا من كثرة ما حملوا في شبابهم . لم تكن الطبيعة أيضا مثقلة وعبوسة مثلما هي عليه في البلاد الشمالية في الاماكن البرية كهذه ، بل كانت دائما مساعدة على الانطلاق وكأنها حفل . كانت عظيمة لكنها رقيقة ووديدة . عند الفجر - قبل طلوع الشمس بقليل - استيقظا - أحيانا - على صوت بوق

انبعث من أعالي الجبال ، وسمعا حركة الشباب فى طريقهم الى القرية ، وتتبعها
بالصوت الطريق المتتوية ببطىء المنحدرة الى السهل .

قضيا هناك زمنا طويلا لا ينسى ، وفى أواخر الصيف فى يوم من أيامهما
الاخيرة هناك خرجا فى نزهة ليودعا المكان . وجالا فى أعالي الغابة ، وتسلفا
علوا لم يصلاه من قبل ، نحو نقطة يمكن أن تشرف على منظر طبيعي فذ فى
جماله . كان الطقس فى ألذ ما يمكن أن يكون عليه فى هذه الايام ، وقد
تلطفت الحرارة بنسمات خريفة فأصبح من السهل جدا على الانسان أن
يتنفس وبدا أن الاشجار تتغير وتأخذ ألوان الحريف الوافرة . واشجار
الكستناء تنتظر الجمع ، واشجار الجوز شعت فى المنحدر كالمشاعل الصفراء
الفاقة ، مشيا واستمتعا بكل هذه الروعة واستنشاق الهواء النقى . كان
المرورعا ، لكنهما مشيا فيه ببطء حتى لا يجهدا أنفسيهما . وعندما بلغا القمة
كان المشهد مثلما توقعاه خلايا . وقفا معا ونظرا دون أن يتبسا بكلمة ،
احساسهما ملىء مثلما يكون الانسان عليه عندما يقف وينظر فى مكان سيتركه
وقد لا يعود اليه ثانية - وذلك قد يحصل لهما - ملىء بسعادة غريبة عنيفة
وأىضا بكآبة .

جلسا على الاعشاب فى فجوة فى الغابة وراءهما ليستريجا قليلا . رأيا
كوخا صغيرا من الحجر غير المتحوت شبيها بالاكواخ التى تترك فيها الأغنام
طوال الليل ، لكنه أصغر بكثير من أن يصلح لذلك ، وكان خربا انهدم نصفه
فى إحدى زواياه ، رسم على بابه صليب من الجير . عندما فتحا الباب المتداعي
ونظرا فى الداخل وجدا كنيسة صغيرة . هناك محراب امام الجدار المقابل
وعليه نشرت صحيفة مصفرة مكان الفشاء قد قطعت حواشيهما على شكل
خطوط منعرجة كالورق الذى تستعمله للرفوف فى خزانة المؤن . علقت
الأزهار فى كأس مكسورة . أخذوا ببساطة كل الاشياء هناك خصوصا غشاء
المحراب ، ومكثا طويلا هناك فى الضوء الخافت . ولو لم يكن الجدار قد تحطم
عند إحدى الزوايا لكاد المكان يكون مظلما .

عندما خرجا اعتقدا أنهما لم يدخلوا كنيسة من قبل دفعتهما مثل هذه
للمعبادة . ويا له من موقع رائع ! رأيا البحيرة فى الوادى البعيد تحتهما ملتوية
صافية الزرقة وضفافها شديدة الانحدار فبدا لهما فى ذلك الضياء كمرق

اللؤلؤ . لكن عليهما أن يعودا الآن الى مسكنهما ، والوصول الى الفندق في وقت مناسب للعشاء يحسن أن يتصرفا حالا . كان النزول أشد إرهاقا لرجلها رغم مساعدته لها في الاماكن الوعرة . وعند وصولهما شعرت بشيء من الوجد فيها لكن ليس لدرجة الازعاج على أى حال . تمددت واستراحت قليلا .

بعد أيام قلائل سافرا - عادا أقوى مما كانا عليه - الى الجنوب ، الى كل ما كان في انتظارهما . تجاوزا تسكانا التي كانت محترقة ، ومنسقة أيضا ، ولعلها لم تترك في نفسيهما الاثر الذي تركته أول مرة ، لكن اثرها هذه المرة كان شديدا على كل حال . وزارا الآن اماكن أخرى ، لوكا ، بيزا ، وسينيا ، البلد المتزمت من القرون الوسطى ، وزادا في انطباعتهما الاولى . وانتقلا بعد ذلك الى «امبرين» ، أرض النشوة الدينية حيث الطرقات بين الجبان لها قدسية لأن فرنسيسكس مشى عليها . عاشا في هذا العالم بين الجمع المختلط من كنائس أسيسي وديرها وشوارعها المملوءة بالرهبان ، وقاما بالحق الى المكان الواقع في الحلاء الذي بانث فيه على بدن فرنسيسكس جراح شبيهة بجراح المسيح عند صليبه . وواصلوا الطريق بعد ذلك الى روما حيث أقاما مدة طويلة . ثم غادراها الى خليج نابولي ، سورنتو المشمسة حيث ما زال الصيف مستمرا <http://Archivebeta.Sakhril.com>

أصبحت حياتهما حقا كالحفل المستمر . لم يكونوا ليصدقا أن في امكانهما أن يعيشا كذلك في كمال وغنى وروعة . الصيف الآن كأنه جديد بالنسبة لهما ، بالشمس والورود ، وبالبحر قريبا هناك تحت نافذتهما . لقد كانت أول مرة يريان فيها البحر الابيض المتوسط بالفعل ، ويستقران بجانبه ، ويسمعانه يكسر الامواج الطويلة غير المرتبة على الشاطئ . بدا لهما الخليج متسعا ، محافظا على زرقته ، بجزيرة اسشيا الصخرية في اقصاه ، وبنابولي وقيسوققيوس ، وفي الليل الخيط اللانهائي من الاضواء حول الشاطئ .

كان مكانا للسعادة ، للمحبين ، وكانا كانهما ثملان من السعادة ! شعرا في كل هذا الجمال الارضي ، في هذا الكمال ، وكانهما وثنيان . لكنهما كانا في نفس الوقت ممثلين بجلال الحب وقلباهما يرتعشان من الروعة العظيمة كما يرتعشان من ضربات أرغن عنيفة . بدا لهما جيهما كأنه شمل كل شيء .

فى الارض والسما . لقد كان كالألة العظيمة للتوقيع عليها ، خلوا من الهموم ومقدسا ، لعوبا ورغم ذلك محافظا دائما على وقعه الكامل والعميق . كان وجودهما كله كلمة مبهجة عند إيقاع جايل لارغن .

لم يستطيعا أن يدركا كيف يمكن لعاطفة من العواطف أن تتسرب لكل كيان انسان وأن تجمع بين اثنين جمعا كاملا، رغم أن كل يوم يمر يشرك فيهما الكثير من الانطباعات الجديدة بأنهما لم يخلقا الا ليكونا لبعضهما البعض ، وأن كل شئ، حولهما لم يكسب فى الحقيقة قيمته الا لأنهما رأياه سويا .

ما أفقر كل شئ لو لم يكونوا معا ! حبهما هو الذى أثرى كل شئ ، وبواسطته استطاعا وجود الكثير والانغماس الكلى فى أى شئ . اتسعت روحهما وتقبلتا أكثر من أى وقت مضى ، وفى نفس الوقت كادتا تكونان غائبتين ، فارتين ، منفستين فى التفكير ، فى الحقيقة عائشتين فقط فى عالمهما الخاص .

هنا فى ضوضاء الجنوب المتعددة العناصر ، اختلط بحق بأناس مرححين ، سهلين ، وضعوا كل الهموم جانبا . انغمسا فى الملذات حيوانيا كما كان عليهما أن يفعلا .

اكتشفا الجنوب الحقيقى وأحباء . وجذبهما التوغل فيه فسافرا الى صقلية ، وتورمينا وجرجنتى ... بمعابدهما الاغريقية ، وأشجار اللوز المزهرة ، وقمة أثنا الثلجية التى تومض من بعيد ... جميع ما يتمناه الانسان من الجمال الارضى .. وبقيها هناك حتى حلول الربيع حيث عادا الى الشمال .

عرفا أن ذلك النمط من الحياة هو الذى يناسبهما . كانا مستقلين وأحبا أن يكونا كذلك . شعر أنهما مستقلان كل الاستقلال . لم تكن لهما حاجة للناس والحياة الاجتماعية . اكتفيا ببعضهما البعض وبحبهما وسعادتهما .

واصلتا إقامتهما فى الخارج . وزارا وطنهما أحيانا فى الصيف ومرة واحدة ألزما على العودة فى قر الشتاء لأن أمهما ماتت . وكثيرا ما اتجها الى – الريفييرا – عند حلول الموسم لكن مكثا بعيدا عن الضجيج والصخب ، عن حياة اللهو الدائمة والحفلات التنكرية و Batailles de Flews [الكرنفال الذى

يترامى فيه الراقصون بالزهور [التى لم يوليها أى اهتمام . حبذا السكون
وشينا من الوحدة . وكان ذلك من طبيعة كل منهما .

ولعل المناظر الطبيعية على التى كان لها المعنى البالغ لديهما فحلولهما بهذا
المكان لم يكن الا من أجل الطبيعة والطقس الجميل .

كانت المناظر الطبيعية المهيبة بضخامتها دائما منبعاً للانتعاش اذا شعروا
بالتعب أو الرتابة . ولعل ذلك هو سبب قضائهما الوقت الكثير فى السفر
حتى أصبح السفر فى النهاية حاجة لئلا يرتبطا بأى شئ محدد ارتباطاً
وثيقاً .

كل ما فى الامر هو أنهما عاشا حياتهما . انغمسا فى الوجود الذى اشتركا
فى ملكيته . وعاشا لبعضهما البعض فى تناسق فريد .

أصبحا سعيدين . والحياة أصبحت كاملة ، تماماً كما توقعا .

عادا الى وطنهما فى فصل الصيف بعد سنتين عديدة ، واتخذوا مسكناً لهما
قرب البحر . جلسا يوماً بعد منتصف النهار على الشاطئ ، ليتشمسا ، وكان
عناك الاطفال تتفاوت أعمارهم بين الثلاثة والأربعة أعوام يستحمون على
مسافة ليست بعيدة . (توكوا البحر ليغلبوا على الشاطئ) ، ثم تمرغوا فى
الرمال وعادوا بعد ذلك يتخبطون فى الماء . قال لها :

– الجو جميل جداً اليوم ، والشمس شديدة الحرارة .

فاومات موافقة . وعاد فقال :

– ان ذلك القارب الشراعى لم يفادر مكانه طول الوقت ، يبدو أن على
راكبيه ان يستعملوا المجاذيف اذا ارادوا الوصول الى الشاطئ .

اعتقد أنه لا يحمل سوى بعض المصطافين ... هل ترين ، الآن عليهم أن
يبدأوا بالتجديف !

تمددت ومررت ورقة من العشب ببطء على السطح الاملس لقمة الهضبة ،
ورنت الى تحت وكأنها فى غيبوبة . وقالت فى النهاية :

– ألا تجد من الغرابة أحياناً ... من الغرابة اننا لا نملك اطفالاً ؟

- فنظر اليها فى حيرة وأجاب :
- نحن ؟ .. بلى .. غريب طبعاً .. اعتقدت .. أننا لم نرد أطفالاً . فقد
أكدنا مراراً أنه من الأحسن أن نبقى كما نحن عليه ؟
- لا ... لم نؤكد ذلك أبدا ؟
- بلى .. - أنت تعلمين أننا تحدثنا حول الموضوع من قبل ، فى البداية .
وكذلك قبل أن نتزوج ..
- نعم ... طبعاً آنذاك .. الأمر يختلف .
- هل ترغبين فى ذلك ، أرنأ ؟ ... لم أكن لاصدق .
- وأخذ يدها ثانية ، ثم قال :
- لم تذكرى ذلك ولو تلميحا ..
- لم تجب . تمددت وتجنبت النظر اليه ، وقالت بعد لآى :
- كل امرأة ترغب فى إنجاب أطفال ، وتعتقد أن هناك فراغاً بدونهم .
- مسح على ظاهر يدها بلطف . ثم سألها :
- هل تفكرين فى ذلك باستمرار ؟ ..
- نعم .. اعتقد ذلك <http://Archivebeta.Sakhril.com>
- كثيراً ؟ ..
- إلى حد بعيد ..
- نعم . فضحك وقال :
- إنك لا تنظرين صوب القارب .
- ألسمت فاعلة ذلك ... بلى .
- بقيا هناك برهة أخرى من الزمن بدت كأنها غائبة عن الوجود .
- اعتقد أن الوقت حان لذهابنا .
- قالت ذلك واستوت واقفة .. فقال :
- لم ذلك ؟ .. إذا كنت ترغبين فى الذهاب فليس لدى مانع .
- سارا فى اتجاه الصخور الرمادية التى أشرقت عليها الشمس ، فى مسر
يكاد يكون معدوم الوجود . وبعد ما توغلا قليلا بين الصخور ، تمددا فوق

قمة مضطربة تكشف عن البحر ، بدت لهما الجزر الصخرية الصغيرة لامعة وغارية.
قصيرة ومنحوتة بمياه البحر ، وفي البعد ظهرت زرقاء مشعة . قال مشيرا
الى البعد :

هناك رياح ، تستطعين رؤية ذلك هناك بالقرب من Bullaveskaen
وخارج Hoyo شديدة الهبوب .

لم ترد عليه . لكنها نظرت نحو المكان الذى أشار اليه . وقع بصرها على
بعض الحلنج الذى مد عروقه فى شق بالقرب من رجلها ، بدا كأنه لا يمكن
وجود تربة هناك ، لم يكن غير شق فى صخرة برزت النبتة من خلاله .
سألها :

– فم تفكرين ؟ وأخذ يدها .

فأجابت :

– لا شيء ..

– بلى ، هناك شئ ..

أقرب منها ورفع كتفها بلطف ، نظرت الى تحت ومسحت بأصابعها على
أزرار سترته . ثم قالت :

– أرى أنه من الغريب جدا أن هذا مثل حبنا لا يوجد علينا بطفل .

– نعم . – لكن ذلك لا يتوقف على الحب .

– لا ... لكننى أعتقد أنه يجب أن يكون كذلك .

– نعم ، من الحق أن يكون كذلك .. أو كان الامر كما ذكرت لكان طبيعيا
جدا .

صمتت . رنت تجاه البحر بعينين جافتين ضعيفتى البريق ، ثم سأله :

– على أى شئ يتوقف ذلك إذن ؟

– حسنا عزيزتى .. انت تعرفين مثلى تماما . أو . أعنى .. لا يمكن لأى

منا أن يعرف .. دائما أى شئ ، بالتحقيق عن ذلك .

اضطجعت على ظهرها ووضعت يديها على فوديها ، ثم قالت :

– ذلك مرتبط بى أنا طبعا .

– لا ، عزيزتى .. – لم ذلك ..

انحنى فوقها ، ومسح شعرها ووجنتيها وعنقها ، وقال :

- لم التفكير فى إنجاب الاطفال ارضا ، عزيزتى .. - أعل إنجاب الأطفال غير ممكن لنا . ولا نستطيع تغيير ذلك ما دام الخطأ ليس خطئى أو خطأك .. لكن أنت لى وأنا لك . وذلك مهم ، مهم جدا . أليس كذلك ؟
- بلى .

صمتا طويلا . استوى فى جلسته ، ونظر تجاه البحر ، لكنه استمر ماسكا ليدها وضغط عليها بقوة لانه أحس بها وكأنها مرتخية . تمددت الى جانبه وبقي رأسها على الصخرة .
ثم قالت :

- لا شك أنتى غير طبيعية .

- لا ، ارضا .. لم تقولين ذلك ؟

والتفت اليها بنوع من الحدة . ونظر اليها . تفحص عينيها الواسعتين اللتين بدا فيهما قليل من الارهاق .

آله ان ينظر اليها ، كان يعلم ان الذنب ليس ذنبه هو ، لانه سبق له مرة فى شبابه ان حملت منه فتاة . داعبها برفق ، فى جنو وغطف ، قبلها بسرعة حتى لا يثير انتباه المرين حولهما . لكنه بقى منحنيا فوقها . قريبا من محياها مسح على جبهتها وأبعد عنها الشعرات الناعمة الى الوراء . وعلى مفرقها استطاع ان يتبين فى جلدها الرقيق كل شعرة على افراد .. ثم قال لها :

- سأقول لك شيئا ... اعتقد ان اثنين ليس لهما أطفال يمكن أن يسعدا ببعضهما البعض كثيرا وأن يكون كلاهما للآخر ذا قيمة خاصة مثلنا نحن . يمكن لهما أن يجدا فى جبهما تعويضا لما لم يستطيعا نيله .. الا تعتقدين ذلك مثلى ؟ فأجابت :

- بلى . ان الامر لا شك كذلك

أمعن النظر فى وجهها .. تحيل يبدو عليه قليل من التوتر .. جلده شاحب لكنه لم يفقد تلك المسحة الدافئة التى كستها ، ولم يكن مسفوعا بالشمس ، اذ لم تكن ابدا كذلك . قالت :

- دعنا نذهب .

فرد مبتسما :

- ألا تريدان أن تبقى هنا أيضا .

- بلى . لكن نستطيع أن نتجول قليلا على أى حال .

نزلا الهضبة الصخرية الى المر المؤدى الى الشاطئ . آه لا ، سيمشيان قليلا هنا نحو الداخل عوضا عن الاتجاه صوب البحر . اختارت أن يفعل ذلك .

جالا خلال ساعة . وفي المساء بعد ان تناولا العشاء بالفندق وعادا الى غرفتهما ، وجالست على الأريكة كالمعتاد ، قالت :

- هلفدان ... هل تظن أنه منى أنا ؟

- لكن ، عزيزتى .. شئ مثل هذا لا يمكن للانسان أن يعرف حقيقته .

أنت تعلمين أن ..

نظرت خلال النافذة الى الخارج بالنور الضعيف فى عينيها ، ووضعت يديها فى حجرها ولم يكن ذلك من عاداتها ولم يكن متلائما معها أيضا . ثم قالت :

- أنت تعلم .. إنه بسببى أنا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- كلام فارغ ! لا أعلم فى الحقيقة شيئا عن ذلك . أعز ما لدى ، كيف يمكن لى أن أعرف !

- من المعتاد أن يكون الخطأ من المرأة . سمعت عن ذلك .

- المعتاد .. ربما .

- نعم .

- لكن عزيزتى الصغيرة أرنا . لماذا نتكلم عن ذلك . ما الذى نستطيع فعله ... دعينا نخرج ونجلس فى الشرفة قليلا .. تعالى وسترين جمال المنظر هنا ..

التحقت به ببطء . كان البحر هادئا وصقيلا يمتد بين الجزيرات الصخرية التي لا تعد ، والتي اكتست بعد الغروب بألوان خفيفة في الخلجان نحو الارض العارية الشهباء ، كان الزقاق البحري الشرقي قد اظلم واستسلم للراحة بين الجبال التي تحرسه فبدأ عميقا وصافيا .

كان الجو ذلك المساء ، في غاية الاعتدال وخلوا من الريح ، مكثا طويلا في مكانهما وتحادثا معا كالمعتاد عن مواضيع كثيرة وكان طوال الوقت مسندا ذراعه الى ظهر مقعدها وقد أخذ أصابعها الرقيقة البيضاء وتركها تستريح بين أصابعه .

وعندما ذهبا الى الفراش نظر اليها ، وقبلها بحرارة مفاجئة ، وضمها اليه لكنها هزت رأسها وتمنت له ليلة سعيدة ونامت ، شعرت بتعب شديد ، لقد مشيا كثيرا .

ARCHIVE

لم يكن الطقس في اليوم الممطر جميلا لكن السيليا صفت بعد الظهر والمساء كان آلف وأنعش من الليالي الاخرى ، بقيا متمددتين على الشاطئ ، مدة طويلة بعد ما خلا المكان من كل رواده .

رأيا سحبا صغيرة ذهبية تتلشى في السماء عند الغروب وتبدو أحيانا كخيوط في حمرة الدم ثم تقيب وكأنها لم توجد . لم يكن من الممكن للظلمة في هذا الفصل ان تزيد كثيرا على ما هي عليه آنذاك .

بقيا هناك صامتتين يتتبعان قدوم ليل الصيف . فكر في انها أصبحت تميل الى الصمت في هذه المدة الاخيرة . ولعلها كانت على تلك الحال طوال ائسنتين الاخيرتين . أصبحت منكمشة على نفسها في نوع من التكم نكنه لم يلحظ هذا التغيير لانه حدث ببطء وكانا معا طول الوقت .

قطفت بعض الورود التي كانت حولها عند الغسق ، نوعين من الورود التي
نمت في كل مكان الى حافة الرمال ، أحدهما صغير قرنفلي اللون ، والثاني
أبيض وكأسه يشبه الناقوس ، نظمتها ثم جاست ومسكتها في حجرها .
سألها :

- ما هي تلك الورود ، هل تعرفين اسماءها ؟

- لا ... لا أدري . انها جميلة جدا .

- نعم . الناس هنا يطلقون ذلك الوصف على كل نوع من الورود ، مهما
كان منظرها .

فقالته وغيّرت في ترتيبها :

- هنا يسمون هذين النوعين بابن الشاطي وابنة الشاطي . لكن لا بد ان
لهما اسما آخر ، على ما اعتقد .

- نعم ... لا شك في ذلك .

عند عودتهما الى مسكنهما حملتها معها في يدها قبلها ، وتماديا في
السير ، وضع ذراعها تحت ذراعه . وكالعادة ، عندما وصلا تريثا قليلا قبل
الدخول . وقفا هناك برهة من الزمن لاجل المتظر . هناك جداب البحر الشاسع
نحو الغرب . لم يريدوا الدخول في مثل هذه الليلة ، بقيا هناك واقفين ، قال :

- لا تفكرى في ذلك كثيرا يا ارنا ..

نظرت اليه بابتسامة صغيرة .

كانت الايام طويلة . لم يرغبوا في البقاء عند الشاطي المملوء بالرواد ، اراد ان
يسبحا في مكان آخر ، وحيدين . قالت مرة بعد ما تمسدا ليستريحيا بعد
السباحة :

- لكن اذا كانت المرأة هي مصدر الحلل فاني سمعت ان الامر يمكن معالجته .

- نعم .. يقولون ذلك .

- هل تعلم ؟
 - سمعت الناس يتكلمون حوله . لا بد ان الامر ممكن فى بعض الحالات .
 - نعم ... لكن لا اظن انه صحيح بالنسبة الى .
 - آه .. لم لا . لماذا تعتقد ان ذلك . وقد يكون الامر بسيطا .
 - لم تجب . مر حين . ثم سألته :
 - هلقدان ؟.. هل تعتقد ان العلاج فى الامكان ،
 - ماذا ساقول .. ليس من السهل ابداء الراى حول موضوع كهذا اذ ذلك يتوقف على بعض الاشياء .
 - طبعا ، طبعا ، رعين ببعض الاشياء .. ربما تكون النتيجة ان يعلمونى فقط . انه غير ممكن .
 - يجب ان نكون مستعدين لتقبل ذلك ايضا ، لكن لماذا نأخذ النفى كنقطة للبداية ، لا يوجد هناك أى مبرر لمثل هذا التفكير .
 - بقيت صامتا . ثم قالت :
 - ذلك ممكن جدا ، قد يحدث طبعا .
- كفا الآن عن الحديث حول هذا الموضوع . لكنهما اعادا اليه مرات اخرى ، واذا مر زمن بدون ان تذكر شيئا حوله فهم انها كانت تفكر فى الامر ، دون انقطاع . تعذب نفسها بالتفكير فيه .

تألم لرؤيتها دائما على تلك الحال . قال انه من الاحسن لها ان تعلم الحقيقة . بدأ يبعث فيها الامل بأن الامر لا شك تمكن معالجته ، ولعل معالجته سهلة . ولم لا . يجب ان تتأكد ، ذلك أفضل .

اقتنعت هى الاخرى بصحة الفكرة . كان يعرف طبيبا فى المدينة يعتبر انسب الاطباء لمشاورته ، وانتهى الامر بأن اقنعها بوجود الفحص وسافرت الى المدينة فى النهاية .

عند عودتها استقبلها حول المركب . كانت خجولة ولم ترغب فى الكلام . لكنها كانت تشع بالفرح فى داخلها ، ولوحظ ذلك عنها رغم تظاهرها بأن شيئا لم يحصل ، وفى غرفتهما فوق عانقته بذراعيها وامتلات عيناهما بالدموع .

كان الامر كما اعتقد هو . الطبيب قال انها حالة بسيطة وان قدومها اليه كان مستحسنا .

- أرايت ذلك ! أرايت اننى كنت على حق !

كانا سعيدين جدا . قضيا يوما رائعا كان اسعد ما امكن لهما ان يتذكرا منذ زمن طويل . خرجا للتجوال ، وسارا متلاصقين ببعضهما البعض نزلا الى الشاطئ، ورايا حياة الاستحمام بما شملته من اطفال قد استمرت اجسامهم بالشمس وابتهجوا فكادوا يقضون كامل أيامهم من الصباح الى المساء فى البحر .

وفى خضم الحياة المحيطة بهما فى الشمس المشرقة شعرا بالسكينة ، وكأنما قد أخذهما شئ، من الشرود ، فكانا مملوئين مهابة مما كان ملكا لهما وحدهما .

شربا عند العشاء كاسا من الخمر وكأنهما محتفلان بعيدهما وحدهما فى سرية مطلقة . أوما لهما على الكأس فى جد ممزوج بالدعابة رأى عينيها تشرقان بأشعاع عميق من الماضى لتحتفظ به لنفسها . كان سعيدا باستعادتها اليه .

قضيا الزمن الموالى فى صفاة غريبة ، انتظارا وبهجة . أمل لكنه يخلطه الشك - شعرا بالزمن حيا لدرجة الغرابة . كل شئ، عاش فى نفسيهما وحولهما بطريقة خاصة . كان لكل شئ، دفء، هادئ، وألفة يفشيا لهما . تجولا فى الطبيعة ، على ساحل البحر وبعيدا عنه حيث بدت الصخور مجدبة ، عرتها الرياح ، وحيث ينبت آس المستنقعات فى الصدوع بين الخليج وشجيرات العليق هنا وهناك فى الاطراف . وابتعد من ذلك بقليل ظهرت اشجار البلوط وهى تقاوم الرياح فتعترض على مدى الصخور كالأجسام ، وتثبت متلاصقة لتحمي كل منها بالآخرى ضد الرياح . وأحيانا تزهى هناك فى صدع مستتر سرية الجدى التى يهتديان الى مكانها بواسطة عبيرها المنتشر . عاشا فى كل شئ ، كما يفعل الاحباء . كانا منتعشين وفى نفس الوقت متوترين بسعادتهما التى بدت بذلك وكأنها أكبر . الحياة كلها متوترة لكنها لطيفة كأمسية الصيف . عندما اقتربا من بعضهما كانت الارض النائمة خارج الغرفة ممتدة ، عارية ومألوفة كالوفية . ونسيم البحر يدفع ستائر النافذة برفق داخل البيت نصف انظلم .

اظهرت حنانا لم تشعر بمثله أبدا من قبل ، حنانا آخر مثل حنان الام
بدا لاحد له ، شعرت بارتياح غريب نحوه بعد الحرارة التي تحابا بها سابقا
حنانا عميقا فى النفس يحمل شيئا مختبئا ومكتوما . وعندما شعرت برغبتها
قد اشبعتم حاولت عدم اظهار ذلك ، فقط كتبت انفاسها . فكان لذلك اثر
خفى .

مضى الزمن . وقارب الصيف نهايته . لم يتحدثا عما يفكران فيه ، عما كان
تفكيرها دائما منشغلا به . بدت كأنها تجول فى ثقة هادئة ، فى ثقة لا تبلغ حد
الاعتقاد لكنها حالة تريد ان توجد فيها ، وسمحت لنفسها بأن تفرق فيها .
كانت وكأنها تريد فقط ان تستمر متواضعة وهادئة وخلصوا من الاحزان ،
ارادت ان تحاول ان تكون كذلك . وضمت نفسها اليه والى حبهما فى دفء
وأمان .

بدأ الناس يرحلون ، وأخذ الشاطئ، يخلو وكذلك ممرات التجوال والكازينو
من الرواد ، لكن ذلك لم يؤثر عليهما . كانت مرحلة وسعيدة . بدت وكأنها
تشعر فعلا بالرح والسعادة . الى ان حل اليوم الذى باحت له فيه بانها تأمل..
فقط تأمل ... اذ لم يكن ذلك ممكنا . لا يمكن أن يكون . لكن هناك بعض
الدلائل تشير الى حدوثه ولعل الامر كذلك . اعتقد هو أيضا نفس الشيء .

نعم . اعتقدت ذلك ... هناك شيء فى داخلها انبأها بأن الامر قد حدث . لا
يمكن ان تفوتها ملاحظته . لقد شعرت أيضا بأن لها ميلا الى التقيؤ اذا كان
التقيؤ دليلا ، ولم يكن الامر مبكراً كذلك ، لم يعلم شيئا بالتحديد حول هذا
الامر ، لكن الامكانية موجودة .

بدأ الفندق يخلو من سكانه ، وتقلص عدد رواد غرفة الاكل يوما بعد يوم ،
ولم يكن لهما مخطط للرحيل . فى الحقيقة لم يكن لهما مخطط لآى شيء .
عاشا فى الحين فقط للساعة التى كانا فيها .

حل الحريف ، وبدت أيامه الباكرا صافية ، ممتعة ، والسماء رقيقة حتى ان
التنفس العميق كان فعلا سعادة لا توصف . لعت الجبال بالرطوبة فى ضوء
الشمس المعتدلة البرودة ، وبدأ البحر مخضرا حتى - الحلجان - كانت الطبيعة
فى أوج جمالها فى هذا الوقت بالذات ! لا شك فى ذلك ، فى هذا الطقس الذى

لا يوصف . وهذا الماء البارد الذي يداعب كالحرير جسم العائم يحس الانسان بنفسه موفور الصحة جذلان ، ولو لم يكن في أحسن الاحوال ، اذ كانت في الحقيقة تشعر بأن صحتها في توقع شديد ، لكن ذلك أيضا كان لذيذا ، لا مانع من انها لم تكن دائما في صحة جيدة . عادت بعد ما تقيأت وكانت شاحبة الوجه وفرحة ، ومضضت فيها ضاحكة وهي تنظر إليه في قصد وعيناها دامعتان من الارهاق .

لم يبق هناك أى شك في الامر ، لا شك أبدا .

والآن وقد أصبحا النزيلين الوحيدين في الفندق ، عليهما ان يفكرا في الرحيل أيضا ، خصوصا وان الفندق ستغلق أبوابه .

لم تكن لهما فكرة عما سيفعلان ، وكيفما كان الامر فالسفر غير ممكن . لم يكونا راغبين ولا حتى قادرين على ذلك ، في مثل هذه الظروف . وحصل ان وجدا نفسيهما وقد عادا الى بلدهما بعد ما غابا عنه اعواما عديدة . ودبرا مسكنا كان لهما منزلا حقيقيا ، سمحا سمادة لا تقدر بتنظيمه . كان استرجاع ما ملكاه من الاشياء القديمة المألوفة لديهما والتي كانت عند عائلتيهما ، وتكملة هذه الاشياء بأشياء أخرى جديدة ، واختيار قطع من الاثاث جميلة تتناسب كايا مع البقية ، ومحاولة تنسيق كل الاشياء في وحدة متكاملة ، قد أخذ الكثير من تفكيرهما واعطاهما الفرصة لاستعمال ذوقيهما وحصافة حاسة التمييز لديهما . واكتشفا ان حفظهما وافر في العثور على أشياء قيمة مناسبة جدا لهما عند باعة الاشياء العتيقة .

فرحا أيضا برؤية بلدهما بعد هجرة طويلة ، بدت لهما كانها جديدة ، اما الناس فوجا نفسيهما غريبين عنهم بم مرور هذه المدة بعيدين عنهم .

لم يعقدا صداقات جديدة مع الناس لم يكونوا في حاجة ماسة لهم . كانا لبعضهما البعض ، ولنزلهما الذي شغفا به وكان عزيزا عليهما . لقد غمرهما بهدونه . أحباء من أول وهلة . وجدا انه من الغرابة ان الفكرة لم تحظر ببالهما من قبل ، وانهما طافا كثيرا . لقد كانا في الحقيقة غير مستقرين على حال .

فكرت فى استعمال الغرفة الصغيرة فى الزاوية للطفل . لقد كانت متجهة الى الجنوب واكثر الغرف الصغيرة ضياء . وسألته : ان هذه الغرفة ستكون ممتازة ، اليس كذلك ؟ واجابها : بلى ، لا شك انها ستكون كذلك .

بعد ما شعرا فعلا بالاستقرار بدأت فى تحضير لوازم المولود المنتظر حتى ولو كان لديها آنذاك وقت طويل ، لكنها فضلت ان تحضر كل الاشياء بنفسها ويديها . بدأت بأقل الاشياء لزوما ، تلك الاشياء الحلوة الجميلة ، وبعد ذلك اخذت تجهز حفاظات الطفل واغطيته وما الى ذلك . ثابرت يوميا على الجاوس والعمل فيها ، جمعت كل شيء فى اكوام حتى ملأت فى النهاية رفا كاملا فى خزانة الملابس . قال لها : ألم تحضرى اكثر مما تستحقين ؟ واجابته : طبعاً لا ، انك لا تعرف ذلك يا عزيزى ، هناك حاجة الى الكثير من هذه الاشياء .

كانت والحالة هذه موفورة الصحة ، وكان طبييها راضيا عنها ، ومن الحسن انها كانت مستبشرة . طبعاً ، ولم لا وقد كانت تعرف ان ذلك يعنى الكثير بالنسبة للطفل ، كانت تشعر بتوسعك خفيف ، لكن ذلك تابع للحمل .

شعرت بالتعب يزداد تدريجياً بمرور الزمن . وفى اواخر الشتاء تضخم حجم بدنها كثيراً ، اكثر من المعتاد بقليل ، فاصبحت ثقيلة ومرهقة . واثرت ذلك على ساقها ، قضت الكثير من الوقت ممددة ، وفى الاخير ازداد ترددها على الفراش الى مرات كثيرة كل يوم ، لكنها كانت تنام وقتاً قصيراً كل مرة اذ لم ترد ان يصبح ذلك عندها عادة . فى ما عدا ذلك ، كان كل شيء طبيعياً . تأملت الكثير من حرقه فى فم معدتها ، وكان هذا الالم قد راودها طيلة الحمل ، لكن اكثر النساء يصبن بمثل هذه الآلام ، لم تكن صحتها أسوأ من المعتاد فى مثل هذه الحالة .. ولم يكن هناك خوف من الزلازل .

لاحظ انها فقدت شكلها قليلاً قليلاً فقال : يبدو ان الطفل سيكون وحشاً صغيراً ، وقد ظهر لك عنها كثيراً فى الحقيقة اذ ان وجهها اصبح نحيلاً وشاحباً ، ومال لون جبينها الى السواد من كثرة الشحوب . غارت وجنتاها وهزلت رقبته وتجعدت نظرت الى نفسها فى المرآة وقالت مبتسمة : « لقد اصبحت وحشة جداً .. اليس ذلك هلفدان ؟ » فاجاب وهو يتفحصها : « بلى ، منظر ك مخيف ، . واومات بكل موافقة .

كان الشهر الاخير أصعب من أى وقت مضى . فكانت ميالة الى النوم ، كان بدنها أثقل مما تستطيع ساقها ان تحتمل . ولعله كان أسهل عليها لو استطاعت ان تعدل عن الحركة ، لكن الحركة واجبة اذا كانت تريد ان يمر كل شئ بسلام يجب أن تقوم بأكثر حركة ممكنة .

تجولا قليلا كل يوم ، كانا يخرجان على الاقل لجولة قصيرة معا ، خصوصا ان الربيع قد حل وان الجو أصبح لطيفا . أورقت الاشجار فى كل مكان فى الحدائق . تجولا معا فى نفس الاماكن التى ارتاداها عندما تعارفا أول مرة ، على ضفة المياه اذ أحبا تلك المرات أكثر من غيرها .

تأبطها ومشى الى جانب ساقها الضعيفة حيث تحتاج الى القليل من المساعدة . مشيا الهوينا ، بالطبع ، واستطاعت ان تتحمل التجوال .

حاول ان تستمر فى القيام بهذه الجولات حتى النهاية لم تكن فى حاجة ملحة لذلك لكن المشى كان مقيدا جدا بالنسبة اليها . كان عليها فى الحقيقة ان تهدأ قليلا . صعب عليه ان يراها تعرج بعينها رغم ما بدا له فى ذلك من روعة وجمال . كان يشعر فى نفس الوقت بالاعتزاز بها وبالحالة التى هى فيها . لكن المسكينة تعبت كثيرا ولم يكن من السهل عليه أن يتجاهل رغم معارضتها للتحديث عن ذلك . على أى حال ، لقد تحدثت الآن أكثر من الاغلبية من بين الاخريات .

أحست بشئ يشبه الارتياح عندما طلب منها الطبيب بعد فحصها ان تلتحق بالمصحة . لم يكن الطبيب راضيا عن قلبها تمام الرضى ، ثم لعله من المستحسن ان يبقيا معا فى المصحة ، اذ قد يأتيها المخاض فى وقت قريب .

بدا المنزل خاليا وغريبا . ان يتمشى هناك فى الغرف وحيدا ، لكنه كان يقضى معها كل الوقت الذى يسمح له فيه بزيارتها .

وفى ليلة من الليالى ، خابروه وطلبوا منه الحضور حالا ، لقد بداها المخاض . ونزل الدرج جاريا ورمى بنفسه فى عربة .

لم يسمح له بالدخول اليها ، فكان عليه ان يقنع بالبقاء فى الرواق . وهناك فى الداخل علت صيحة مريضة . لكن لا يمكن ان تكون صيحتها اذا لم يكن الصوت صوتها . لعلها صيحة امرأة أخرى قد جاءها المخاض .

لكن .. لا بد انها .. هى ! لا أحد غيرها !

وسأل ، بلى ، لقد جاء الصوت من الداخل ، خلال الباب الثالث . انها هى .. رباه !

لم يكن الصوت أبدا صوتا بشريا . لم يكن شبيها بأى شئ . لقد كان شيئا غير طبيعى تماما .

وكانت هى .. هى ! .. آه رباه ..

واستمر كل الوقت فى نفس الحدة ، صراخ وصراخ متتابع دون ان يتوقف ولو لحظة واحدة .. الى ان هدأ قليلا وتحول الى أنين . وأخيرا اختفى .

خرجت ممرضة ، فسألها .. هل وضعت حملها ..؟

فأجابته : لا ، لقد خدروها <http://Archivebeta.Sekr>

وصاحت داخل الغرفة من جديد :

– « لقد خدروها قليلا ويبدو انها لم تتأثر بعد بالتخدير .. »

– لكن هلا استطاعوا اذن تخديرها كما يجب . متى يريحونها من هذا العذاب المريع !

– ان قلبها مصاب يا سيدى ..

قلبها مصاب ، قلبها مصاب ، نعم قلبها مصاب قليلا .. قليلا .. يا رب !
شبك أصابعه .

– رباه ، يا رب !.. اجعل العاقبة خيرا ، اجعل العاقبة خيرا .. كانت تنفس بصوت مسموع ، تلهث ، لم يكن تنفسها عاديا . بدأ وكأنه صادر عن مضخة .. لم يكن قط كالتنفس البشرى .

نعم ، قليلا قليلا .. ليس شيئا خطيرا ..

عادت مرة أخرى الى الصراخ ، ثم سكن صراخها ولم يبق غير تنفسها .
لكن ذلك في الحقيقة اضعف ، نعم اضعف بكثير ..

ليتها تبقى على قيد الحياة ، ليتها تبقى على قيد الحياة .. تمشى وتمشى ،
جيشة وزهايا خارج الباب ، لم يقر له قرار ولو للحظة واحدة .
لقد تخطى الزمن اللانهاية .

وقد طال انتظاره في الحقيقة كثيرا . نظر في ساعته . نعم وقيل ذلك ..
لقد بدأت قبل ذلك بكثير ..

وأخيرا ظهرت خارج الباب ممرضة ، بل انها رئيسة الممرضات اتجه
نحوها . هزت الممرضة رأسها . فسألت :

- ماذا ؟ كيف حالها ؟ كيف حالها ؟

وهزت رأسها ثانية ، وقالت :

- صعب ، صعب جدا ..

تحول لونه الى لون الطباشير . تحسس قبعته بإصابعه .. لم يدر .. ماذا
لم يدر ..

ARCHIVE

لم تخرج الممرضة الا لطلب شيء ، عادت الى الغرفة . وقف بجانب
الباب وتمكن من رؤية جزء صغير من غرفة العمليات بانارتها القوية . رآها
ممددة على الطاولة .. الطبيب ملوث بالدماء ... كله دماء تفور .. كثير من
الناس يسكنونها .. بدوا وكأنهم يصعد ذبحها .

رباه !..

استولى عليه الفزع ، الرعب ، لم يعرف ماذا سيفعل .. لم يعرف ماذا ..

رباه !..

أراد أن يرمى بنفسه على الأرض ، على ركبتيه ... وكان ذلك سيسهل
انقاذها ... لو دعا بحق ، دعا بحق لها .. ان تبقى فقط على قيد الحياة ، ان
لا تموت .. نعم يجب ان يصل لها .. يجب عليه ان يفعل ذلك .. الآن ! الآن
حالا . لكن لم يكن هناك مكان يستطيع ان يصل لها فيه .. لا يمكن ان يصل
في الرواق حيث يمر الممرضات والزائرون باستمرار .. لا مكان لذلك ..

وأخيرا دخل مرحاضا ، وأقفل الباب على نفسه وارتدى على الأرض .

– ربه ، يا لطيف .. فلتبقى فقط على قيد الحياة .. ساعدها .. ساعدنا ..
وابقها .. وحيدتي وأعز ما لدى على وجه الأرض .. أن تنقذ ، أن يكون من
الممكن انقاذها .. أشكرك أشكرك ، وأنا جالس على ركبتى .. فلتبقى فقط على
قيد الحياة .. حلمك .. حلمك يا رب ..

وقف لاهثا ، ومسك رأسه بيديه ، ثم ركبتى سرواله وخرج لم يكن هناك
أحد في الممر ، ولم يسمع صوت من خلال الباب . لقد خيم السكون في
الداخل .. سكون يكاد يكون مطلقا ..

تالم .. لا شيء ، يسمع ، لا شيء ، غير صوت الطبيب مرة واحدة تنفس طويلا .

وبعد بضع دقائق جاءت رئيسة الممرضات فسألتها :



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakirrit.com

– هل . وضعت ؟ وأجابت :

– نعم .. فسألتها ثانية :

– بسلام ؟ هل انتهى . كل شيء بسلام ؟ فقالت :

– لعله في إمكانك يا سيدي أن تدخل ، انتظر فسأرى

وترك خارج الغرفة .

بلى ، لقد سمح له بالدخول .

وفي الداخل انتشرت رائحة الليزول (سائل ريتي مطهر) أحس لاول
وهلة عند دخوله الغرفة بالنور القوي يكاد يعمي بصره ، ورأى شيئا مغمشى
بالدما . قد انتهت الممرضة آنذاك من لفه وابعاده . رأها ملقاة على نقالة
موضوعة بعض خطوات منه في الداخل شاحبة ولا حراك لها ، كأنها ميتة ،
لكن صدرها كان يهتز بشدة . انحنى عليها قبلها وأعاد تقبيلها ، لم تفتح
عينها وكأنها لم تشعر بشيء ، كأنها نائمة ، حولوها من هناك على النقالة ،
وقال الطبيب :

– لم يكن هناك امكانية أخرى . وانتزع القفاز المطاطي من يديه . لو لم
تكن ضعيفة جدا ولو كان قلبها أحسن مما هو عليه لأمكن لنا كما تعلم اجراء

عملية قيصرية لكن ذلك لا يمكن في حالتها . واعتقد بكل تأكيد انها لم تكن في حالة تستطيع معها تحمل تلك العملية .

تنفس الصعداء .. ثم سأل الطبيب : والآن ؟

- ليس هناك خطر ان لم تتعقد الامور بطريقة لم تكن في الحسبان .

- شكرا لله على ذلك .

- نعم . لقد كانت عملية صعبة ، صعبة جداً . ولا اظن انها تستطيع ان تعيش اذا اجريت لها نفس العملية مرة ثانية ذلك هو رأيي في الموضوع .

- لا . لا . افهم . ان ذلك غير ممكن .

استطاع الطبيب اثناء المحادثة ان يكمل غسل يديه ، ثم اقترب منه وصافحه .

تعريب :

المنجي الرادى

- يتبع -



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الاصفار

شفتاها تتحركان ، وصدى صوتها يصله مضطربا .. كان غارقا في غصون
جبهتها ، وفي الزرقة المحيطة بعينيها ، بينما هي تتكلم وتتكلم .. كان حديثها
بلا نهاية ..

- أبوك .. أبوك يا بنى .. أنت تعرفه .

« أبى .. أعرفه حقا .. ولكننى ابن خمسة وعشرين .. ماذا يريد منى ؟
منى تحول فى نظره الى رجل متى ؟ » فتح عينيه وألقى فى مسامعها قوله :

- أبى .. فهمت أنه أبى .. ولكن لماذا لا يدعنى لنفسى ؟ أظننى طفلا ؟

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أنك طفل كبير .. هو الذى يقول هذا يا بنى .. هو الذى قرر ، وما
عليك الا التنفيذ .

« التنفيذ .. العملية خطيرة اذن . كلنا صغار عنده .. اخوتك التسعة
اصفار .. أنت كبيرهم .. فانت صفر كبير .. حتى أمك ليست أكثر من صفر
ايضا .. عندما تفكر أمك هذه أن تدافع عن أحد اخوتك الصغار .. لن تجد الا
العصا التى ستترك خطوطا زرقا، على ظهرها وصدرها وساقها .. وبعد أيام
قليلة ستعود الى .. وتركع تحت قدمى .. أمك هذه .. ماذا تظنها أنت ؟
ولدتك .. وولدت اخوتك التسعة .. ولكنها لا شئ أمامى .. أنا الرجل الذى
أخرجتكم من صلبى .. هى ليست أكثر من ارض قاحلة لولاي يا محمود .

عندما أطلب منك شيئا اياك أن ترفع رأسك ، اياك أن تفتح عينيك .. اياك
اياك أن تفكر فى قرارة نفسك بالرفض .. أنا المتصرف الاول والاخير ..
اخوك مسعود .. تأخر ساعة اول البارحة .. لماذا يتأخر عن الوقت المحدد ؟

هو أصغر منك .. ولكنه عنيد .. صغر متمرد .. ساعفس على رأسه ..
وساعلمه الخضوع لى .. دخل وفي فمه رائحة ما ، لم استطع تمييزها جيدا ..
كنت فى حالتى العصبية .. نظرت الى شاربيه المعقوفين .. والى جثته
الضخمة .. هو أصغر منك ولكنه عنيد .. وقفت على رؤوس أصابعى ..
وصفعتة على وجهه .. وقف أمامى كتمثال .. لم يتحرك ولم تطفّر دمعته من
عينيه .. صفعتة أخرى .. وثالثة ورابعة .. كان تمثالا عنيدا ، يحملق فى
وجهى والشرر يتطاير من عينيه .. ازداد غضبى .. اضطربت أكثر .. جننت ..
اندفعت الى المطبخ لآتى بسكين كبير .. أردت أن أغرزه فى صدره ، ولكنه
أمسك يدي بعنف .. ولواها .. ثم سحب السكين .. عروق يديه كانت
بارزة .. وعيناه لا ترفان ، وأسنانه يصر عليها بعصبية وعنف . اقتربت أمك
لتنقذه او لتندنى .. لكنى هجمت عليها .. أفرغت فيها كل ما فى من ألم وحقد
وعصبية .. كانت أصواتها تتردد فى درج العمارة .. الجيران كانوا على أبواب
منازليهم .. يخشون التدخل فى أمر كهذا .. يعلمون أننى سأحول ذلك الى
جروح تعوى فى أعماقهم .. فتح الباب وخرج بعد أن رمقنى بنظرة عميقة ..
هذا الصغر المتمرد لم يبت تلك الليلة فى منزلى .. بل غاب أياما خارج المنزل.

أنت لست مثله أبدا .. كآك لست أخاه .. أنت صغر مطيع .. فماذا يدور
فى ذهنك الآن ؟ لن أتحدث معك ، بل سأخبر أمك »

– ماذا قلت يا ولدى ؟ أبوك يريد الجواب .

نظرا الى أمه .. رأى فى عينيها آثار الخضوع .. « يريد الجواب ! أى جواب
يا أماه ؟ أيقبل جوابا يخالف رأيه ؟ »

– ماذا طلب أبى يا أماه .. أى جواب هذا ؟

– طلب رأيك .. هل توافق على الفكرة التى طرحها عليك ؟

« نظر حوله .. الجدران تكاد تتلاصق .. منذ اسبوع باعوا خزانة ليضعوا
مكانها فراشا لأحد اخوته التسعة .. فى المطبخ ينام اثنان ، وفى البهو
خمسة .. وثلاث بنات وأهمهم فى غرفة .. والأب فى الغرفة الأخرى » .

تضاحكت الأم ثم قالت :

- كنت أنتظر منك أن تطير من الفرح .. هذا مشروع يتمناه كل من فى سنك .

« يتمناه ولكن لم يفكر هذا الرجل فى الزاوية اتى سيضعنى فيها ؟ »
رفع رأسه وقال لأمه :

- أفرح لا بد أن أفرح .. ولكن أين ستضعونى أنا وهذه المسكينة ؟ ثم من أين ستأتوننى بها ؟ ماذا يريد أبى على التحديد ؟ أريد رأى أم موافقتى ؟

فكر فى نفسه .. أنا لست أكثر من صفر كبير .. فكيف ينتظر منى رأيا ؟ أبحق لى أن أرفض ؟ وماذا لو رفضت مرة واحدة فى عمرى خمسة وعشرون عاما ورأسى يهتز باستمرار .. نعم .. نعم .. قضيت خدمتى الوطنية منذ سنوات ، ما فكرت مرة واحدة « بلا » .. قال : التأخر ممنوع .. قلت : طيب .. أدفع مرتبك حتى آخر سنتيم .. طيب .. صدقتك صالح لا تثق فيه .. طيب .. عليك أن تتزوج !! هذه المرة .. « لا .. لا .. لا »

قال لأمه :

ARCHIVE

<http://Archive.org>

- اننى أرفض بحسم أن أتزوج
- ماذا يا بنى ترفض رأى أبيك ! أتريد أن تسود عيشنا ؟

واندفعت تبكى .. لم لا تبكى .. ستدفع الثمن وحدها .. اليس ابنها ؟ أليست أم كل الصغار .. فكيف يتردد هذا الصفر الكبير ؟ لا بد أن يؤدب اذن ..

- يا بنى عد الى عقلك ! أبوك قرر أن يزوجك .. فتقول له : لا ! أجننت يا محمود ؟

- الزواج بالقوة ! عمرى لم أسمع بهذا .. لماذا لا يزوج نفسه بدلا منى ؟ اننى أرفض هذا الزواج .. أمتلكون زاوية فارغة تسكنونى إياها ؟

- هو سيدبر الامر .. لا علاقة لك بذلك .. يجب أن تقول : نعم . وكفى ..

« نعم .. انه يبحث عن « نعمى » هذه ؟ لماذا لا يتصرف من دون ان يستشيرنى اذن ؟ لماذا لا يزوجنى وينتهى الامر عندئذ ؟ أدخل الى المنزل فأجد

امراة فى انتظارى .. اليس هذا كل ما فى الامر ؟ أين سأسكن ؟ أى زاوية أستطيع أن أقبع فيها ؟ كل ركن فى الدار مشغول : المطبخ .. الغرف الثلاث الصغيرة .. لم يبق الا دورة المياه .

— لا .. سيحول الحمام الى غرفة ..

« ماذا ؟ الحمام .. متر بمترين يتحول الى غرفة ايضا لا .. لا .. ليس هناك ضرورة الى مشروءكم هذا .. اننى مرتاح هكذا .. لن ارتكب حماقة مثل هذه...»

سمع صوت المفتاح يدور فى الباب .. فتح الباب ، ودخل سى الاخضر وعليه سيات العياء .. صعد طبقات سبعا .. لم يلق التحية .. رأى ابنه مضطربا .. لم يرتح لقسماته . نظر فى وجه امرأته فلاحظ فى عينيها هما .. الجو متوتر . « هل جاء فى وقت غير مناسب ؟ ربما ! هل أخبرته بالامر الذى لا بد منه ربما .. هل رفض لا .. لا .. أقتلح رقبته من جذورها .. مجنون لو فعلها .. لا بد ، قلنا : لا بد أن يتزوج .. هه .. يرفض .. هذا ما بقى له !»

جلس على كرسى عتيق .. راح يقتل شاربيه .. الدار فارغة من سكانها.. الاولاد فى المدرسة ، أو فى الشارع ، يلعبون على باب العمارة .. حاصر ابنه بنظراته . ولكنه لم ينطق بكلمة ، حول الشاب عينيه الى الجهة الاخرى .. نظر الأب الى امرأته ثم قال بتحد :

— ماذا يا سعدية ؟ هل أخبرته بالامر ؟

أحس محمود باضطراب شديد .. استند الى الارض بكفه ليقف ولكن أباه ناداه بلهجة جافة وحاسمة :

— اجلس .. اجلس يا بنى .. هناك حديث ذو أهمية أريد أن أناقشك فيه .

« يناقشنى .. متى كان هذا المارد يناقش ؟ صغر يناقش .. طفل غبى عمره خمسة وعشرون عاما يسأل عن رأيه ؟ ماذا حدث فى العالم .. لا بد أن شيئا ما قد حدث » .

رفع الابن عينيه وهمهم :

— ماذا ؟

فقال الام لزوجها :

- الحقيقة ... أن .. الحقيقة ..

كانت الكلمات تتدحرج فى الخلق ، وتجمد عند الشفتين .. نظرت الى عيني زوجها القاسيتين .. حاولت أن ترسم ابتسامة على شفتيها ، ولكنها أحست بأنها لا تحاول الا عبثا ، فقاطعها الزوج :

- أية حقيقة وأية « أن » هذه .. انطقى .. ماذا قال لك ..

والتفت الى ابنه :

- هل أخبرتك أمك ؟ ماذا تقول ؟ تكلم !

الارض تدور بعنف .. غشاوة ضبابية غطت عيني محمود .. أحس بالاختناق .. حاول أن ينتزع الكلمات من فمه .. ولكنه لم يستطع .. سأل نفسه : « أية قوة سحرية يملكها هذا المارد ؟ لماذا تنبخر كل الكلمات عندما يضع عينيه فى عيني .. حرفان فقط أعجز أن أواجه بهما .. فتح فمه بصعوبة .. أراد أن يقذفهما فى وجهه .. وليكن ما يكون بعد ذلك .. تريد رأى أيها المارد ؟ لا بأس إذن لا تخاف لا تخاف هذا هو الرأى الذى أملك .. أعرف أن الخمسة والعشرين عاما تقتضى أن قول غير ذلك .. ولكننى ورغم هذا ساقول : لا ... أيقظته كلمات أبيه :

- ماذا حدث فى هذه الدار .. أتكلم فلا أحد يجيب .. كل شئ ساهم .. لو تكلمت مع الجدعان لسمعت جوابا ..

تنهد المارد مصبرا نفسه ، ثم استغفر الله ، وقال لمحمود :

- ماذا قلت يا محمود ؟ أعطينا كلمة لوالد الفتاة .

« مه .. أعطيت كلمة إذن .. قررت وحدك .. وخطبت وحدك .. وأعطيت الكلمة وحدك .. فماذا تريد منى أن أفعل ؟ تنتظر من رأسى أن يهتز بنعم .. نعم وألف نعم إذن .. زوجنى .. أقتلنى .. افعل بى ما تشاء .. أنا فردة هذا قديم .. لك أن تصلحها أو ترميها فى سلة الاوساخ .. »

نظر الى عيني أبيه .. انه مهياً للانفجار .. سمع تنهيدة ثانية منه .. انها ذات معنى .. ولكن ماذا يفعل .. أيعرض نفسه الى الاساءة والضرب .. أم يقول نعم وليكن ما يكون ..

التفت الأب الى زوجته :

- انهضى يا سعدية .. حضرى لنا فنجانا من القهوة .

مد يده الى جيبه ، علبة « الصافى » فى آخرها .. سحب منها لقافة بعناية وضعها جانب فمه .. فتل شاربيه الابيضين .. ثم أطرق برأسه وقال لابنه :

- الفتاة صغيرة .. أبوها صديق لى .. أعرفه منذ الصغر .. كنا ناعب معا فى الحى .. يجب أن تتزوج يا محمود ..

- ولكن يا أبى .

قاطعه أبوه :

- أى لكن يا ولد .. أنت رجل .. ابن خمسة وعشرين عاما .. يجب أن تتزوج ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سكت قليلا ، ثم أكمل :

- أريد أن تتزوج لأرى أولادك قبل أن أموت ..

تأمل محمود أباه .. لم يصدق عينيهِ .. عمره لم ير أباه مهدودا هكذا .. كان يسحب الكلمات من أعماقه بصعوبة .. قال فى نفسه : « تموت .. تموت .. لا قدر الله .. كيف سيفعلك الموت أيها الجبار العنيد .. أى موت هذا الذى سيفعلك .. لا .. يا أبى »

لم يشعر محمود عندما صرخ بملء فيه بكلماته الاخيرة .. قدحت عينها السمي الاخضر بشرر مخيف ثم صرخ من أعماقه :

- ماذا تقول يا ولد ؟ كيف تجرؤ أن تتفوه بما تفوهت ؟

أحس محمود أن الحلقة تضيق وتضيق حول عنقه .. لم يرد أن يقول « لا » عن الزواج .. بل قالها عن الموت كيف يجرؤ الموت أن يقترب منه ..

نهض سى الاخضر من مكانه ، والعقدة بين عينيه ثم قال :

- على كل حال .. العقد يوم الخميس .. هذا لا جدال فيه .. وما عليك الا ان تهى نفسك .

اقتربت الام وهى تحمل صينية القهوة :

- القهوة يا الاخضر .

قلب شفته السفلى .. ثم قال :

- لا .. لست فى حاجة الى قهوتك .. اشربيهما أنت وابنك .. اشربوا البحر .. تفوه عليكم جميعا .

عزت الام رأسها .. ووضعت الصينية على الارض .. وحارت ماذا تفعل .

- 2 -

غرفة الحمام تحولت الى غرفة نوم .. تتسع لسرير فقط .. الاولاد العشرة أصبحوا أحد عشر .. هذا كل ما فى الامر . العروس أصغر من ربيعة أخته.. الدار تعج بابناء آدم .. لا بد أن تضطدم أى مخامر ، يجرب أن يسير ساهيا، بواحد من أفراد القبيلة .. سى الاخضر له غرفته الخاصة .. المطبخ مشغول دائما .. كل شىء فى المنزل مشغول .. والصفير المتمرد ما زال عنيدا وصعبا .. ورث تمرده عن أبيه .. ومحمود ورث الخضوع عن أمه ..

نهض سى الاخضر مبكرا هذا اليوم .. نادى العروس فاقتربت منه .. انها زوجة فى هذا المنزل .. ولكنها كبقية العشرة .. زوجة الصفير لن تكون أكثر من صفير .. كان جالسا فى فراشه كسبع ، قتل شاربيه ، ثم مد يده الى طاولة صغيرة جانبه ، أخرج لقافة « الصافى » من العلبة .. أشعلها .. سحب نفسا طويلا ثم نفث الدخان حوله .. الدخان يشكل حاجزا ضبابيا بينهما .. الصمت يحيط بكل شىء .. أشار إليها أن تجلس أمامه .. اقتربت منه متوجسة .. أحسنت أن شيئا ما سيحدث .. ولكنها لعنت الشيطان .. أمها علمتها ان تلعه فى مثل هذه الظروف .. تعلقت عينها بشفتيه .. ماذا هنالك أيضا ..

- نعم .. ناديتنى ..

أشار الى العروس أن تجلس من جديد .. تأمل شعرها المضطرب ، وحمرة خديها الاسمرين ، وسواد عينيها الصافيتين .. لا تدري لماذا يخفق قلبها كلما وقفت أمامه .. تعودت أن تلقى تحيتها وتهرب .. هل تملك شيئاً آخر .. أما أن تواجهه هكذا ، وجها لوجه .. فهذا فوق احتمالها .. ماذا يريد مني ؟ رجعت الى الخلف بذكريتها .. لم تتذكر شيئاً يستأهل منها هذا الاضطراب .. تحرك الشاربان المعقوفان بعناية ..

- تصرفك في هذا المنزل لا يعجبني .. أفهمت حكمت لي ربيعة كل شيء ..

« حكمت له .. ماذا حكمت .. ماذا فعلت ؟ »

فتحت عينيها ، حاولت أن تسأل عما حكمت ربيعة .. تجمد لسانها في حلقة .. هربت كل الكلمات .. الدموع تنفر بقوة .. الخطر يحدق بها .. كلماته هادفة وحاسمة .. سى الاخضر غير مستعد لمناقشة أحد ..

- تبكين .. دموع التماسيح .. زوجك ليس رجلاً .. انهضى .. انهضى من وجهي .. ستندمين لو عدت الى ذلك ..

بصعوبة نهضت الفتاة من مكانها .. غادرت الغرفة .. ثم أغلقت الباب خلفها .. ساقاها لا تقويان على حملها ..

- ماذا ؟ تبكين يا حليلة ؟

- أبوك .. أبوك يا محمود .. يهددني .. ماذا فعلت لأختك ربيعة ؟

- وهل أجبتك بشيء ؟ اياك أن تكوني قد فعلتها ؟

- لم أجب يا محمود .. ولكن والله لم أؤذ ربيعة أختك .

نظر الى زوجته البائسة .. أحس بالاختناق من جديد .. قال وهو يتنهد :

- أعرف .. أعرف أنك لم تؤذ أحدا .. ولكنك ستبقيين غريبة في هذا المنزل طول حياتك .. ربيعة تدعي أنك لا تساعدنيها .. بل تتحدينيها ..

- أنا .. أنا يا محمود .. لا .. لم أفعل .. أحلف لك .. وحدي أقوم بكل الاعمال .. ولا يساعدني أحد ..

فكر لماذا لم يكن صفرا متمردا كاخيه مسعود ؟ لماذا لم يقو على رفض زواج كهذا ولكنه الآن يحبها .. فتاة طيبة مثل هذه ماذا يريدون منها .. انها صفر آخرس ماذا يريدون وراء ذلك ؟

- حليمة .. احذريهم .. افعل ما يطلبونه منك .. فانا أريدك جانبي .
نهض من مكانه .. ليلبس ثيابه ويغادر المنزل ...

- 3 -

الأم جالسة فى احدى زوايا المطبخ .. وجهها يقطر حزنا .. رأسها بين كفيها .. صمت متوتر يسود المنزل .. فى عيون اخوته الصغار صمت مرعب كذلك .. كل شيء ينذر بالانفجار .. القى التحية ودخل .. اتجه الى غرفته ، ولكنه تراجع عندما سمع نداء أمه .. تراجع .. دخل المطبخ .. أمه لم ترفع رأسها .. ليس هناك دليل أنها هى التى نادته .. وقف أمامه ..

ARCHIVE

- ماذا يا أمه ؟ ماذا حدث أيضا ؟

- زوجتك حليمة يا بنى <http://Archivebeta.Sakhi.net>

أحس بالغثيان .. ما بها حليمة أيضا .. ماذا حدث .. هل .

انقذته الأم من كل تساؤله ..

- حليمة لا تصلح يا بنى .. حليمة ضربت أختك ربعة ..

رمى بنفسه خارج المطبخ .. كان يبحث كالمجنون فى كل زاوية من زوايا الدار .. يفتح بابا ويفلق آخر .. تعثر بأخ صغير ، فانفجر بالبكاء .. لم يأبه له .. رأى أخته ربعة .

- ماذا يا ربعة ؟ أين حليمة ؟

الباب يطرق هذه المرة .. دخل السى الاخضر متجههم الوجه .. وقف أمام ابنه كتمثال .. صفحه على وجهه .. تطاير الدمع من عينيه .. نظر محمود الى

أبيه .. تشنّجت أصابع يديه .. أراد أن يلتهمه .. ولكنه تماسك بصعوبة
ضبط أعصابه :

- أرايت زوجتك .. هذه الجريمة .. تضرب أختك .. أترضى أن تضرب
أختك وأنت ترى بأم عينك ؟

« حليمة .. تضرب زوجتي أنا أعرف الناس بها .. حليمة لا تجرؤ على
فار » رفع رأسه .. صرخ بملء فمه :

- لا .. لا .. هذا كذب .. حليمة لا تضرب احدا .. أين هي الآن ؟

- طردتها.. طردها .. وسأطلقها منك .. أفهمت ؟

نظر الى أبيه بحقد .. الدموع كانت تنفر من عينيه بغزارة .. أدار ظهره
الى الباب ، فتح باب المنزل قائلا :

- فرضت الزواج على .. وتريد أن تفرض الطلاق أيضا .. لست أكثر من
صفر في هذه الدار .. ولكنني سأجرب أن أكون صفرا متمردا .. وصفق الباب
خلفه وخرج .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

زهير العلاف

1979 / 12 / 22

=====

* .. قريبا جدا !! *

« زمن الفئران المكاينكية »

مجموعة قصصية تأليف أحمد ممو

نشر : شركة صفاء للنشر والتوزيع والصحافة

=====

مسرد القصص التونسية

تحاول مجلة « قصص » أن تكون المرجع الاكمل والاوفى لما صدر في تونس من أقاصيص ، ونشر في مختلف الصحف والمجلات أو ضمت المجموعات . وهي - إذ تنشر هذه القوائم - ترجو من قرائها الأعزاء مدها بكل ما لديهم من ملاحظات وما يمكن أن يتداركوا به سهوا أو نسيانا أو عدم اطلاع . ويخضع هذا المسرد لوجود المصدر واكتماله أكثر من خضوعه للترتيب الزمني أو الأبجدي الذي سوف يكون مرحلة ثانية بحول الله . وسيكون ضمن هذا المسرد القصص المترجمة الى العربية كذلك باعتبار أن الترجمة - لا سيما الأدبية منها - هي من الحاق والابداع ، دون إغفال الكاتب الأصلي ، ومن ترجم.

جريدة « الصدى » (*)

العنوان	الكاتب	المرجع
آه من المكتوب	محمد الهادي بن عبد الله	ع 42 - 24 فيفري 1975
أحبك يا قريتي	محمد الهادي بن عبد الله	ع 19 - 16 سبتمبر 1974
الاحكاك بين الاصابع	حسن نصر	ع 55 - 26 ماي 1975
الاختيار	محمد ابراهيم	ع 91 - 2 فيفري 1976
استاذي	فوزية بن فرج	ع 62 - 14 جويلية 1975
أسطورة من العهد البائد	محمد المختار العبيدي	ع 12 - 29 جويلية 1974
أشياء شخصية في زمن		

(*) جريدة « الصدى » جريدة أسبوعية جامعة أصدرتها دار الصباح من 13 ماي 1974 الى 27 ديسمبر 1976 فكانت جملة اعدادها 137 عددا ، وتوقفت عن الصدور لأسباب مادية وتكاليف النشر رغم أنها تصدر عن دار الصباح وهي إحدى المؤسسات الصحافية الكبرى في تونس .

العنوان	الكاتب	المرجع
الانتماء	محمد الطاهر الضيفاوي	ع 13 - 5 أوت 1974
أصابع مسمومة على الزر	الحبيب بن فضيلة	ع 43 - 3 مارس 1975
أطواق الحرز	محمد صالح الجابري	ع 2 - 13 ماي 1974
الى مولاتي	الحبيب كريدان	ع 57 - 9 جوان 1975
الى يوم الاحد	ترجمة محمد بيدى	ع 125 - 4 أكتوبر 1976
امراة تحت الصفر	حياة بن الشيخ	ع 59 - 23 جوان 1975
امراة جسد	بوراوي عجينة	ع 89 - 19 جانفي 1976
انشطار	عبد الواحد ابراهيم	ع 27 - 11 نوفمبر 1974
اكتامات خاصة	حسن نصر	ع 48 - 7 افريل 1975
أولاد الحرام	محمد الهادي بن عبد الله	ع 105 - 10 ماي 1976
بقايا ضمير	يوسف رزوفة	ع 106 - 24 ماي 1976
بلا رجل	حياة بن الشيخ	ع 100 - 5 افريل 1976
البوم والاشباح	محمد حمدون	ع 96 - 8 مارس 1976
بيع بالمزاد العلني	بلقاسم خلافي	ع 46 - 24 مارس 1975
ناكسي تاكسي	فاطمة سليم	ع 109 - 7 جوان 1976
تجربة	قوزية	ع 75 - 13 أكتوبر 1975
تريد أن تعيش	الناصر رجب	ع 45 - 17 مارس 1975
ثقب في جدار الغرفة	ابراهيم الصغير الخليفى	ع 115 - 9 أوت 1976
ثمن السعادة	عبد القادر الزراني	ع 82 - 1 ديسمبر 1975
الجبل العجوز	أحمد العش	ع 95 - 1 مارس 1976
الجنة وشيوخ العشائر	عبد الواحد ابراهيم	ع 1 - 13 ماي 1974
الجدار	عبد المجيد النجار	ع 105 - 10 ماي 1976
جريمة قتل	عبد السلام الدريدي	ع 33 - 23 ديسمبر 1974
الحذاء	محمد الهادي بن صالح	ع 18 - 9 سبتمبر 1974
الجواب	عبد الله الخلافي	ع 35 - 6 جانفي 1975
حالة مرضية	حسن نصر	ع 45 - 17 مارس 1975
الحب انتهى عهده	محمد الصبحي الحاجي	ع 31 - 9 ديسمبر 1974
حديث قديم	عبد المجيد المسعودي	ع 117 - 2 أوت 1976
الحذاء	محمد بن عاشور	ع 102 - 19 افريل 1976

العنوان	الكاتب	المرجع
حكاية البلغة	محمد المختار جنات	ع 7 - 24 جوان 1974
حمار وسيد عاطل	المنصف الباجي	ع 46 - 24 مارس 1975
حيرة	محمد المرزوقي	ع 51 - 18 أفريل 1975
الحرص الضائع	أحمد العش	ع 88 - 12 جانفي 1976
خطاف واحد لا يصنع الربيع	محمد الهادي صالح	ع 14 - 12 أوت 1974
دبوس الغول	الطاهر البليدي	ع 24 - 21 أكتوبر 1974
دمعتان	عبد الستار الغربي	ع 104 - 3 ماي 1976
الدود والأفاعي	جاول عزونة	ع 9 - 8 جويلية 1974
رجلان في النهر	عبد الله الحلايفي	ع 129 - 1 نوفمبر 1976
رحلة في حنايا المد والجزر	عمر عريق	ع 65 - 4 أوت 1975
رسالة خالدة	أحمد العش	ع 103 - 26 أفريل 1976
الزحف بالركبتين على الزجاج المطحون	يوسف رزوقة	ع 83 - 8 ديسمبر 1975
الزقاق	حياة بن الشيخ	ع 84 - 15 ديسمبر 1975
زوايا الكون الخفية	الناصر رجب	ع 53 - 12 ماي 1975
سقطت يده	حسن نصر	ع 28 - 18 نوفمبر 1974
سلمى	أحمد العش	ع 68 - 25 أوت 1975
شرح في نجمة داود	فتحي الجديدي	ع 126 - 11 أكتوبر 1976
شفاه باردة	إبراهيم الصغير الحليفي	ع 73 - 29 سبتمبر 1975
الشمس في بيتنا	حياة بن الشيخ	ع 6 - 17 جوان 1974
الشیطان الأزرق	أحمد العش	ع 95 - 15 ماي 1976
صراع	الصغير الحليفي	ع 37 - 20 جانفي 1975
ضياح	حسين التونسي	ع 94 - 23 فيفري 1976
الطاحونة الصخرية	الناصر رجب	ع 101 - 12 أفريل 1976
الطفلة انتحرت	بنت البحر	ع 94 - 23 فيفري 1976
عاشق المطر	محمد بن عاشور	ع 60 - 30 جوان 1975
عليوات	الطاهر البليدي	ع 135 - 13 ديسمبر 1976
عندما تتلبسني حلما ...		

العنوان	الكاتب	المرجع
تكون الوجهة ص. ب.		
1984	خيرة الشيباني	ع 36 - 13 جانفي 1975
عندما يموت الحب	الحبيب كريدان	ع 26 - 4 نوفمبر 1974
عودة المهاجر	بوراوي عجيبة	ع 99 - 29 مارس 1976
في الالفة	محمد الهادي بن صالح	ع 9 - 25 نوفمبر 1974
في سبيل الحياة	المختار الزواري	ع 70 - 8 سبتمبر 1975
في ممر الحياة	المختار الزواري	ع 16 - 26 أوت 1974
قالت : أكل البحر أهلي	صالح البكاري	ع 113 - 5 جويلية 1976
القطار	عبد العزيز فاخ	ع 72 - 22 سبتمبر 1975
قطرات دم على الرصيف	ابراهيم الصغير الخليف	ع 21 - 30 سبتمبر 1974
كالآخريين	حياة بن الشيخ	ع 25 - 28 أكتوبر 1974
كانك عالفلوس عندي	عروسية النالوتي	ع 20 - 23 سبتمبر 1974
كلاب القرية	خالد محمد	ع 76 - 20 أكتوبر 1975
لا أريد حرية	جليلة سويد	ع 92 - 9 فيفري 1976
لا تعطيني سمكا	عروسية النالوتي	ع 41 - 17 فيفري 1975
لكن الزمن لا يتوقف	الناصر رجب	ع 107 - 31 ماي 1976
لن أبقي غاذا مهملا		
لأشياء غير مهمة	بوراوي سعيدانة	ع 23 - 14 أكتوبر 1974
لو سمحتم لحظة	محمد الحبيب ابراهيم	ع 52 - 5 ماي 1975
ليالي المدينة الكثيبة	نعيمة الصيد	ع 50 - 21 أفريل 1975
ليتنى كنت ترابا	محمد الهادي المطوي	ع 67 - 18 أوت 1975
مات الدخان	جلول عزونة	ع 110 - 14 جوان 1976
محاكمة رجل ميت	فتحى بن ضياف	ع 10 - 15 جويلية 1974
المذكرة رقم 44	عبد الستار اليعقوبي	ع 50 - 21 أفريل 1975
المرأة	المنجي الفندري	ع 87 - 5 جانفي 1976
مستنقع دماء	الناصر رجب	ع 77 - 27 أكتوبر 1975
المشاعر لا تموت في صمت	الناصر رجب	ع 69 - 1 سبتمبر 1975
المطية	مصطفى عطية	ع 97 - 15 مارس 1976
معركة ضارية في بطن		

العنوان	الكاتب	المرجع
خاوية	محمد المختار العبيدي	ع 32 - 16 سبتمبر 1974
معشوقتي	محمد المختار العبيدي	ع 54 - 19 ماي 1975
من بعض الاحزان	بنت البحر	ع 71 - 15 سبتمبر 1975
من حكايات السيد	سمير العيادي	ع 24 - 21 أكتوبر 1974
« س » : حدث كبير	سمير العيادي	ع 22 - 7 أكتوبر 1974
من حكايات السيد	سمير العيادي	ع 22 - 7 أكتوبر 1974
« س » : الحق في الخطأ	سمير العيادي	ع 22 - 7 أكتوبر 1974
من حكايات السيد	سمير العيادي	ع 38 - 27 جانفي 1975
« س » : خيانة تحت المطر	سمير العيادي	ع 38 - 27 جانفي 1975
من يبيع الريح للمراكب	حسن نصر	ع 65 - 4 أوت 1975
المنية في اعقاب الليل	محمد ابراهيم	ع 104 - 3 ماي 1976
الموت حزنا	مصطفى التواتي	ع 47 - 31 مارس 1975
موعد مع الزفاف	أحمد العشي	ع 63 - 21 جويلية 1975
نشاز	فاطمة سليم	ع 8 - 1 جويلية 1974
نظرة من ثقب الباب	محمد بن عاشور	ع 17 - 2 سبتمبر 1974
هارب من الزواج	أحمد العشي	ع 11 - 21 جويلية 1974
الهجرة اليك	جميلة الماجري	ع 15 - 19 أوت 1974
هروب	محمد عرجون	ع 30 - 2 ديسمبر 1974
والعصر والنشر	حسن نصر	ع 61 - 7 جويلية 1975
وأعود الى جدتي	محمد قدورة	ع 39 - 3 فيفري 1975
وتعري الانسان	بورواي عجينة	ع 85 - 22 ديسمبر 1975
الوجه الآخر	الحبيب كريدان	ع 93 - 16 فيفري 1976
الوجه الآخر من الوثيقة	عروسية النالوتي	ع 3 - 27 ماي 1974
الوجه الذي لا يأتي	محمد الحبيب السالمي	ع 48 - 14 أفريل 1975
ومر عام كامل	الحبيب كريدان	ع 44 - 10 مارس 1975
وهكذا يثقب البندير	الطاهر سعدي	ع 64 - 28 جويلية 1975
ويحلمون فتضحك الاحلام	المنجي الفندري	ع 49 - 21 أفريل 1975
اليد اليمنى	ترجمة جلول عزونة	ع 34 - 30 ديسمبر 1974